عبد اللطيف عاشور

قصص الأنبياء

للأطفال

دار الطلائع

اسم الكتاب: قصص الأنبياء للأطفال
تأليف: عبد اللطيف عاشور.
رقم الإيداع: ١٩٨٦/٧٥٨٤
٩٦ ص؛ ٢٤سم
الترقيم الدولي:

تصميم الغلاف الفنان: إبراهيم محمد إبراهيم

• جميع الحقوق محفوظة للناشر •

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية

E-mail: alsaay99@hotmail.com

مطابع العبور الحديثة – القاهرة
تليفون: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٥٩٩

٣٢ شارع أحمد فخـــري ـ مدينة نصر
ـ القاهرة
تليفون: ٢٣٥٤٦٣٩٢ (٢٠٢ +)
فاكس: ٢٣٥٤٦٣٩٣ (٢٠٢ +)
E-mail : info@altalae.com
Web site: www.altalae.com

أبناءنا الأعزاء...

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:111].

نعم في قصص النبيين عبرة للمعتبرين، ودروس للمفكرين ومنارة للسائرين، ونور على طريق أبنائنا: بنات وبنين.

وفي حياة أنبياء الله تعالى، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. من لدن «آدم» إلى خاتم الأنبياء والمرسلين «محمد» ﷺ أفضل وأسمى ما يمكن أن يقدم للبشرية جمعاء، من خلال موافقهم، واقوالهم، وأفعالهم، ومسيرة حياتهم، مع أنفسهم، وأهليهم، وأقوامهم، وعشيرتهم، و مع الناس أجمعين.

وسوف تعيشون يا أبناءنا مع القرآن العظيم يحدثكم عن أخبار الأمم السابقة، من هدي منهم بهداية السماء، وًامن برسالات الحق والعدل والسلام، فمكن الله له فى الأرض.

ومن كذب وتولى فغضب الله عليه، ساء حاله، وخربت دياره، وهلك وصار عبرة لمن جاء بعده.

وسوف ترون أن هؤلاء النبيين كانوا يدعون الناس إلى عبادة الواحد القهار، وتنظيم المجتمع على دعائم من التعاون والتراحم، البر، والعدل، لتتجه الإنسانية كلها فى كل زمان ومكان نحوالمثل العليا فى دينها ودنياها.

وهذا القصص جدير بإمعان فكركم فيه؛ لما فيه من نهاية المكذبين لآيات الله البينات، بعد أن تبين لهم على يد رسله الرشد من الغي، والنور من الظلام!

وفيه العاقبة الطيبة لمن آمن بالله ورسله، وبدعواتهم، وكافح من أجل إعلاء كلمة الله فى الأرض حتى تصبح كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلي

وأرجو أن أكون قد وفقت، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

عبد اللطيف عاشور

* قبل الخلق

قبل الخلق و الخليقة.. قبل وجود الأشياء والناس.. منذ العديد من القرون، وًالاف السنين.. لم يكن سوى «**الله تعالى**» الواحد الأحد الفرد الصمد.

ثم أراد سبحانه وتعالى أن يوجد الأرض والناس، وأن يعطيهم منحة الحياة و التجربة.. فقال لملائكته: ﴿.. إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص].

قبض سبحانه قبضة من طينة الأرض بكل عناصرها... من التراب والماء.. وغير ذلك، ثم سواها صورة بشرية في أحسن تقويم...فكانت كالتمثال الجامد... لا حس بها ولا حراك، حتى نفخ فيها فاهتزت وربت في كيانها نسمة الحياة، وقال لها: كوني «آدم»...فكانت.

ومن هنا بدأت قصة الإنسان... بدأت قصة أبى البشر «**آدم**» ـ عليه السلام..

وكان البارى ـ سبحانه وتعالى ـ قد وضع قوانين الحياة، منها العلم والمعرفة، والاستمرارية بالتناسل و التكاثر.. فعلم «**آدم**» الأسماء، ووضعه على عتبة المعرفة.. ثم طلب من الملائكة أن ينبئوه بها، فقالوا: ﴿.. سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ..﴾ [البقرة: 32] فطلب من «آدم» أن يخبرهم.. فأخبرهم..

* السجود

ثم أمر الله تعالى ملائكته أن يسجدوا لـ «آدم»، ولكن ليس سجودًا كما نتعبد الله جل جلاله في صلاتنا... بل إظهارا لخضوعهم؛ فسجدوا إلا « إبليس» – الشيطان – الذي أبى واستكبر، وكان من الجن، ففسق عن أمر ربه.. فسأله الله تعالى عن سبب ذلك، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف] وظن «إبليس» أنه يعرف الخيرية والمفاضلة بين العناصر والأشياء، جهلًا وغرورًا.. فأخرجه الله تعالى من رحمته..﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [الحجر: 34]. ملعون ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: 78].

وطلب «**إبليس**» من الله تعالى أن ينظره ويؤخره إلى يوم البعث، ولا يقضي عليه..كما أعلن بين يدي الله تعالى أنه سيكون خصما عنيدًا لـ «**آدم**» وذريته.. فانظره سبحانه، قائلًا: ﴿.فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص].

* حواء..

واستيقظ «**آدم**» من رقده له فإذا بجانبه «**حواء**»...فسألها: من انت؟؟ فقالت: أنا «حواء» خلقت منك، وأنا زوجك بعد أن كنت فردًا، وأنا امرأتك ترى في نفسك.. فحادثها وحادثته، وأنس بها وأنست به، وارتاح كل منهما إلى الآخر.

* في الجنة

ولقد كرم الله تعالى عبده «آدم» فأسكنه وزوجه «**حواء**» الجنة.. ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ..﴾ [البقرة:35] وفي الجنة – يا بني العزيز. من النعيم والرغد... والرفاهية والرخاء والسعادة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...

ولقد نهاهما الله تعالى عن الاقتراب من شجرة عينها لهما، فقال: ﴿..وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:35] ذلك...ليكون الإنسان طائعا لربه وخالقه. سبحانه بين الأمر بالفعل، وترك ما نهى عنه.

* وسوسة «إبليس»

وعاش « **آدم**» و«**حواء**» في الجنة ما قدر الله تعالى لهما ان يعيشا، يروحان ويغدوان في أفيائها وظلالها، ويأكلان من ثمارها، ويشربان من مياهها المتدفقة الجارية...ويستمتعان بكل نعيم فيها. وبينما هما في تجوالهما هنا وهناك.. وصلا قريبًا من الشجرة التي حرمها الله عليهما، ونهاهما عنها...فإذا بـ«**إبليس**» اللعين يوسوس لهما، ويحرك في نفسيتهما المعصية، يغريهما بالأكل من تلك الشجرة فترددا أولا، وحاولا الهروب والابتعاد، لكن «**إبليس**» كرر محاولته مستخدما وسائل الإغراء والإثارة...فقال. وقد ألقى بورقته الاخيرة:.. إن ربكما قد نهاكما عنها لأنها شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى، ولا يفنى ولا يزول... ووقعا في شرك

المعصية، فأكلا.. لكنهما انكشفا، وظهرا على حقيقتهما...وأحسا بسوء الفعل فبدت لهما سوأتهما...فأخذا يغطيانها بورق الأشجار... ﴿.. وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ..﴾ [الأعراف:22].

* العتاب والطرد

وعاتب الله تعالى «**آدم**» و«**حواء**» عتابا قاسيا على ما فعلا من معصية، وما اقترفا من ذنب، وما انتهكا من حرمة مخالفة أمره سبحانه. فأخذ «**آدم**» يتلطف إلى الله تعالى، معلنا توبته وندمه، ويستغفره على ما أذنب.. وغوى.. ﴿فتاب عليه﴾ وغفر له. ولكنه -سبحانه- أمره بالخروج من الجنة إلى الأرض، حيث تكون له ولذريته مستقرًا، وميدانًا، مستقرًا إلى حين، إلى يوم القيامة! وميدانا يصارعون فيه «**إبليس**»، الذي كان سببًا في خروجهما من الجنة، وطردهما من النعيم، يكابدون شقاء الحياة ومسئوليتها في الأرض، ويواجهون أعوان الشيطان وجنده، فمن فاز منهم عليه وقهره آوى من جديد إلى الجديد إلى الحنة، ومن أطاعتها وتبعه تردى في الجحيم، جهنم وبئس المصير.

* الأسرة الأولى

وفي الأرض أحس «**آدم**» و«**حواء**» بالجوع.. والعطش؛ والبرد... والحر.. والخوف.. والتعب...كما أحسا بالدفء والشبع والري...ولذة الرقاد.

إذا لابد من الجهد والمجاهدة، والشقاء والتحمل والصبر... والسعي... ومواجهة الأعباء والأعداء وبعد أمد من الزمن وضعت «**حواء**» حملها، فكان توأمًا، ذكرًا وأنثى، فرح بهما أبواهما غاية الفرح، و أسبغا عليهما من حنانهما وعطفهما ورعايتهما، ولم تمض سنة حتى «**حواء**» تستعد أيضًا لوضع حمل جديد، وتفرغ ما فى بطنها المتكور، وكان ـ أيضًا ـ ذكرًا وأنثى. وها الأعباء تشتد على «**آدم**» وتكثر.

لقد كان عليه أن يوفر لأسرته أسباب الحياة من غذاء وكسوة وسكن وفوق هذا كله أسباب التعاطف والتعاون والتواد، و أصول التربية و السلوك على هدى وبصيرة.

* نزغة إبليس

كان «**إبليس**» يترصد «**آدم**» ـ ومازال ـ يترصد بنيه ليضلهم عن طاعة الله، ويسلك بهم فى مسالك الشر و الفتنة و الأذى. كان «**آدم**» ـ عليه السلام ـ قد سمى بكره الذكر «**قابيل**» وسمى المولود الثاني «**هابيل**» ومع مرور السنين كان الأطفال يكبرون، ويشتد عودهم، فيبدوا الذكران قادرين على ممارسة انواع من النشاطات وخير عون لأبيهما في تأمين معاش الأسرة وضرورات حياتها. أما الفتاتان فكانت أيضًا تتحلقان، وتضفى عليهما الأنوثة ملامح الضعف من ناحية، والجاذبية من ناحية أخرى وكان «**قابيل**» و«**هابيل**» يتنافسان على إرضائهما، واكتساب مودتهما، كانت الفتاة البكر التى ولد توأمًا لـ «**قابيل**» أجمل من أختها توأم «**هابيل**»، وقد بلغت مرحلة الشباب والفتوة والنضوغ، فكانت تميل بقلبها وعواطفها إلى «**هابيل**» وهو يبادلها نفس الشعور، وكان ذلك إلهاما من الله تعالى وحكمتة منه ـ سبحانه ـ وكم حاول «**قابيل**» أن يشدها إليه، أو يمتلك زمام عواطفها، أو يستأثربقلبها، لكنها لم تتأثر ولم تنفعل، وظلل حبل الود موصولا بين القلبين النابضين بالحب: قلبها وقلب «**هابيل**». وأخذ الشيطان ـ «**إبليس**» ـ يبذز بذور الحقد والحسد فى نفس «**هابيل**»، فكما أتعس «آدم» وأشقاه بالخروج من الجنة وأغواه بعصيان أمر الله من قبل كذلك اليوم يفعل، لأنه لا يريد لـ «**آدم**» وذريته أن ينعموا بالرضى والرضوان. وهل ينسى «إبليس» عداوته الأزلية لـ«**آدم**»، يوم أمر بالسجود، فأبى واستكبر، ثم حرم من رحمة الله..!؟

فها هو اليوم يتحفز من جديد، وقد سنحت له الفرصة ثم بدت البغضاء على لسان «**قابيل**» وتصرفاته بنفخة من الشيطان، وأخذ يمعن فى العداوة لأخيه.

* القربان:

وأراد « **آدم**» ـ عليه السلام ـ أن يقطع دابر الفتنة بين ولديه، ويردهما إلى الله تعالى، ليحكم فيما هما مختلفان فيه، فطلب إليهما أن يقرب كل منهما قربانًا إلى

الخالق ـ سبحانه، فمن قبل قربانه فاز بمطلوبه، وتحققت رغبته. وكان «**قابيل**» مزارعًا يتعاطى مع الأرض، فجمع بعض النباتات ووضعها على باب مأواه، أما «**هابيل**» فقد ذبح واحدة من مواشيه ووضع لحمها عرضة لكواسر الطير والسباع. ومع ظهور خيوط الفجر الفضى، كان قربان « **هابيل** » قد وقع موقع الرضى والقبول ونفد فلم يبق منه شيء؛ أما حشائش « **قابيل**» نباتاته فقد ذبلت وذوت، وردت عليه فلم تقبل منه، لماذا؟ لأن الله تعالى يتقبل من المتقين الطاهرين الطائعين، وصمم «**إبليس**» على متابعة شوط النزاع والخصام بين الأخوين، وليرسخ العداوة والبغضاء بين بنى «**آدم**». وأن للشيطان وسائل وأساليب.. فأجج نار الحقد فى قلب « **قابيل**»، وصور له وقائع العلاقات بينه وبين أهله صورًا شتى، كلها.. مبعثها الكراهية، فأضمير الشر ونوى الغدر، ولقد هيأ له «إبليس» أن أخاه «**هابيل**» هو الحاجز الذي يقف في طريقه إلى قلب من يحب ويهوى، ويستأثر دونه بحب أبويه «**آدم**» و«**حواء**»، فلابد من إزاحته والتخلص منه!! وأخذ «**قابيل**» يوجه تهديداته لأخيه..فكان «إبليس» هو الذي يتكلم.. ثم كان رد «**هابيل**»: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:28] ثم أضاف محذرًا مبينا سوء العاقبة والمصير..﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:29].

* أول دم في التاريخ..أول ظلم..أول قتل..!!

لكن الشيطان كان قد عشش في نفس «**قابيل**» واستحكم منها، وقعد مقعده، فأصم أذنيه عن السمع، وغشى عينيه عن الرؤية. ثم حركه في جوارحه وأطرافه فقام إلى أخيه في ساعة خلوة فأطبق عليه غدرًا، ولم يفلته من بين يديه إلا جثةً هامدة، قد غاصت في الدماء، ووقف غير بعيد ينظر إلى ما قدمت يداه.. فاضطرمت نفسه وهاج فؤاده، وأحس بوطاة الجناية على ذاته ووجدانه وشعر بفقدان الاخ والعضد

﴿.. فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:30]، وبدأت نفسه اللوامة تعمل عملها، ووقع في شباك الأسى والحزن، والحيرة والتردد.. فقعد على صخرة وقد أثقلته الهموم، ولم تقدر قدماه على حمله، وعلى قيد خطوات منه حط غراب كان يحمل شيئا وأخذ ينكت الأرض بمنقاره ومخالبه حتى حفر حفرة أودعها بعض ما كان يحمل، ثم أهال عليها التراب وطار في الجو محلقا مصفقا بجناحيه.. وكان الغراب بعثا من الله تعالى أرسله ليعلم «**قابيل**» كيف يواري جثة أخيه القتيل «**هابيل**». وشدت عيون «**قابيل**» إلى الغراب وعمله.. وتفكيره واهتمامه، فلما رأى ما رأى قال متحسرًا: ﴿.. يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [بالمائدة:31]، وانى له ان يطهر او يستغفر، فقد نهر الدم الإنساني الأول على مذبح الشهوة والهوى واطاع الشيطان وعصى الله!! ومضت احقاب السنين بـ «**آدم**»، و «**حواء**»وعاشا ما قدر الله تعالى لهما أن يعيشا، وكثرت ذريتهما ونسلهما، اتسع مدى مسئوليتها في تنظيم العلاقات بين أبنائها وأحفادها وفق الأسس والقواعد التي كان يوحى بها غلى «آدم» عليه السلام، حتى شاخ وكبر وادركه الهرم وأحسن بدنو الأجل، فوصى أحد اولاده «شيثًا» عليه السلام، بالقيام على الأمر من بعده حسب أمر الله تعالى له.

«شيث» – عليه السلام –

* هبة الله:

كان حزن «**آدم**» –عليه السلام – كبيرًا عظيمًا على ولده «**هابيل**» الذي قتله أخوه «**قابيل**»، وقضى شطرًا من سنيِّ عمره يتأسف على فقدان الابن الطيب «**هابيل**».

لكن الله تعالى الذي اصطفاه أول مخلوق بشرى، وأكرمه فأسجد له ملائكته، ثم زاده إكراما فأسكنه الجنة، وكرمه بالعقل والحس الفطري، وغفر له زلته، لم يتركه فريسة للأحزان والآلام على «**هابيل**»، فعوضه عنه بأن وهبه «شيثًا» – عليه السلام– وكلمة «**شيث**» تعني باللغات القديمة «**هبة الله**».

❋ نبوة «شيث» – عليه السلام –:

لقد سبق وذكرت لك أن «**آدم**» – عليه السلام – قد عمر طويلًا، وتقول بعض الروايات التاريخية إنه – عليه السلام – قد عاصر وعايش عشرات الألوف من ذريته!! من أحفاده وأحفاد أحفاده... ولا تعجب لهذا، فإن أعمار السابقين كانت مديدة طويلة، بهذا قدر الله تعالى وقضى؛ وايضا فإن من ملاحظاتك في علم الأحياء أن تكاثر الخلايا وانقساماتها يشهد بذلك. كما سبق وذكرت لك أن « آدم» – عليه السلام – ليقوم بالأمر من بعده، اختيارًا من الله جل جلاله ووصية منه سبحانه، وهكذا كانت النبوة لـ«**شيث**» – عليه السلام، بعد أبيه «**آدم**».

❋ صحف «شيث» – عليه السلام –:

روي «أبو ذر الغفاري» – رضي الله عنه – عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله أنزل مائة صحفية وأربع صحف؛ على «شيث» خمسين صحيفة**». وقد اضطلع ـ علية السلام ـ بتنفيذ أحكامها وما تضمنته من إرشادات وتوجيهات ووصايا تتعلق بشئون الناس، والخاصة والعامة، ورعى ـ علية السلام حق الرعاية مجتمعه متوليًا المحافظة على ميزان الحق والعدل بين الأفراد والأسر والجماعات دون ما حيف أو ميل، أو ظلم أوقهر، فاستقام أمر الناس على محجمة بيضاء وصراط مستقيم.

❋ وفاته ـ عليه السلام ـ:

وما من شك ـ عزيزى القارىء ـ أن «**شيثًا**» ـ عليه السلام ـ قد عمر أيضًا زمنًا طويلًا، بحيث تكاثر الخلق من الناس فى زمنه كثرة كبيرة، واتسعت المجتمعات وتمايزت وتباينت، وفى رقاع من الأرض كانت متقاربة السكنى. ثم دنا أجله، وفارق الدنيا، «سنة الله فى الخلق، ولن تجد لسنة الله تبديلًا». وقد أرسى لمن بعده من الأبناء والأحفاد الذين تولوا أمر الناس، من غير نبوة؛ قواعد ميسرة ونظمًا مبسطة، فيها صلاحهم ونجاحهم وفلاحهم، ماداموا على العهد قائمين وبها متمسكين، و على هدى الله سائرين.

إدريس ـ عليه السلام ـ

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ٥٧﴾ [مريم: 56 – 57]

* نبوة إدريس ـ عليه السلام ـ:

تنقلت الولاية على البشر والناس، و القيام فيهم بأمرالله وأحكامه، فى أولاد «شيث» وأحفاده، من غير نبوة حتى اختار الله تعالى «**إدريس**» ـ عليه السلام ـ، نبيًا وهو أحد أحفاد «**شيث**» ـ عليهما السلام ـ فكان «**إدريس**» بهذا الاختيار ثالث أنبياء الله إلى عباده و خلقه بعد «**آدم**» و«**شيث**».

* النبوة المتميزة:

تميزت نبوة «**إدريس**» ـ عليه السلام ـ يابنى العزيز ـ بأمرين أساسيين ومهمين، **أولهما**: أن الله تعالى قد ألهمه الكتابة والخط، ولم يكن فى زمانه ألواح وأقلام، فكان يخط على الرمال ما يريد أن يبلغه الناس، وبهذا الأمر الجليل، انتقل مفهوم الحروف والكلمة من «**إدريس**» ـ عليه السلام ـ إلى الناس وانتشر أيما انتشار، وبقدر ما توسعت المجتمعات البشرية الأولى. ولابد أن الخط ـ أى الكتابة ـ قد تطور من الرسم بالأصبع أو بأية اداة على الرمال إلى النقش فى الأحجار، فذلك أدوم وأبقى.

وثاني الأمرين اللذين تميزت بها نبوة «إدريس» ـ عليه السلام ـ أنه قد ألهم الحكمة من الله تعالى فى التنقل والأسفار إلى حيث انتشر الناس وتوسعوا فى سكنى أقطار الأرض، طلبا للماء والكلأ والأمان، وإقامة مجتمعات جديد. فكان «إدريس» ـ عليه السلام ـ لا يستقر فى مكان حتى ينتقل إلى آخر، يؤم الناس حيث

وجدوا، فينظم شؤونهم، ويدبر أمورهم، ويبصرهم بدنياهم وآخرتهم، ويثبتهم على الصراط السوى، والمنهج القويم.

* فى صعيد «مصر»

ومما يروى أنه «عليه السلام» قد وصل فى رحلة من رحلاته إلى أقصى صعيد «مصر»، حيث نزحت طائفة من الناس واستقرت هناك على ضفاف «**النيل**» تستصلح الأرض وتخصبها وتستفيد من خير عطائها، وترعى أنعامها وماشيتها. ولقد أعجبه الموقع والمكان فأقام مع الناس هناك ردحًا الزمان، قيما على ما أمره الله به من إصلاح وهداية.

* وفاته ـ عليه السلام ـ

ولما حان حينه، وافاه الأجل المحتوم ولكن كيف؟ ومتى؟ يقال ـ يابنى العزيز ـ فى تفسير قول الله تعالى عن «**إدريس**» ـ عليه السلام ـ ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم] إن الله سبحانه وتعالى، لم يقبض روح «**إدريس**» إليه وهو فى الأرض، بل رفعه إليه كما رفع «**عيسى**» من بعد، وفى السماء الرابعة كان القبض والنهاية وذلك تكريم من الله تعالى لـ«**إدريس**» ـ عليه السلام ـ، أما نحن فلا نصدق ولا نكذب هذا القول، بل نترك الأمر إلى علم الله ـ سبحانه ـ!! ونكتفى بأن نقول إنه عندما أزف أجل «**إدريس**» ودنت ساعته قبضه الله إليه؛ وأما المكانة الرفعية التى أحلها الله «**إدريس**» ـ عليه السلام ـ فهى النبوة فى الدنيا والجنة فى الآخرة؛ والله أعلم.

نوح ـ عليه السلام ـ

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: 25، 26]

* الطوفان:

لا يذكر سيدنا «**نوح**» ـ عليه السلام ـ إلا ويذكر الطوفان الذى كان على عهده..!

والطوفان ـ يا بنى العزيز ـ هو غرق الأرض بالماء.. ماء السماء وماء البحر والقضاء على جميع الأحياء من إنسان وحيوان اختناقًا إلى درجة الإبادة. فلماذا كان الطوفان؟ كانت البشرية الأولى من عهد «آدم» إلى عهد «**إدريس**» ـ عليهما السلام ـ تنهج فى حياتها نهجا معتدلا، قليل الخطايا نادر الانحراف[1].

لأنها قريبة العهد من زلة «**آدم**» مع الشيطان والخروج من الجنة فلما كثرت وانتشرت، وتشابكت مصالحها الدنيوية، وغلبت عليها أهواؤها وشهواتها، وسمعت لوسوسات الشيطان عمها الفساد والانحلال، و انحرفت عن جادة الصواب والسداد، وكان أول مظاهر ذلك تنكرها لله الواحد الديان، وهذا أخطر ما يعترى الإنسان في عقله ووجدانه، فأشركت بالله سبحانه، وعبدت الأصنام والأوثان، ونحتتها من الأحجار والأخشاب وسمتها أسماء ما انزل الله بها من سلطان.

ولقد رأى «**نوح**» – عليه السلام – ذلك، فتأثر وتألم، وذهبت دعواته للناس إلى الهدى أدراج الرياح، فدعا ربه أن لا يبقى على الأرض من الكافرين ديارًا فاستجاب له ربه سبحانه، وكان الطوفان عذاب يوم عظيم وبدأت الحياة من بعد ذلك تعود إلى الوجود الأرضي مع البشرية الثانية، ابناء نوح ذريته وإليك القصة:

(1) يقول ابن كثير: [فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد فكان اول رسول يبعث إلى اهل الأرض، كما يقول أهل المواقف يوم القيامة].

كان «**نوح**» – عليه السلام – من ذرية «**إدريس**»، أحد حفدة أبنائه، وكان نصيبه من الناس في الهداية والإصلاح قومًا يقال لهم: «**بنوراسب**»، يسكنون أرض «**بابل**» في العراق.

* أول الشرك:

كان «**بنوراسب**» على جانب كبير من التقوى والعبادة، يقدسون الله تعالى أعظم التقديس، ويؤدون حقه في العبادة والطاعة، والعمل الصالح، ولقد ظهر فيهم أناسٌ صالحون على مستوى العبادة متطهرون متعبدون قائمون بالقسط والعدل بين الناس فأحبهم الجميع واحترامهم، وكانوا خمسة من الرجال هُم: «**ود**»و «**سواع**» و«**يغوث**» و«**يعوق**» و«**نسر**» فلما جاء أجلهم، وغادروا الحياة الدنيا جزع الناس ووسوس لهم الشيطان من مدخل الحب أن يصوروا لهؤلاء الصالحين صورًا تماثيل، تكون أمام أعيتهم على الدوام، بها يذكرونهم ولا ينسونهم، وبها يرونهم فلا يغيبون عن أعينهم. وراقت الفكرة للناس جميعا، فكثرت التماثيل حتى دخلت بيوتهم فضلًا عن معابدهم وأنديتهم وظهرت فيهم مظاهر التقديس والتعظيم لهذه الأوثان، حتى تحولت بعد أجيال معدودة إلى عبادة ونسوا الله تعالى..!!

* دعوة نوح – عليه السلام –

وارسل الله «**نوحًا**» إلى هؤلاء المشركين يذكرهم ويعظهم، ويبين لهم،وليردهم إلى أصالة وطهر العقيدة التي كان عليهًاابؤهم وأجدادهم في التوحيد، ولم يكن « **نوح**» عليه السلام – غريبًا عنهم، فقد كان من صميمهم وواحدًا منهم. ولقد اختاره الله تعالى ليكون رسوله إليهم فيهديهم بعد ضلالة، ويبصرهم بعد عمى وجهالة. لقد وعى ـ عليه السلام ـ عمق التاريخ، وعاد بفكره وإلى الماضى القريب والبعيد، كما بصره المولى عز وجل بالحقائق، وألهمه الهدى والرشاد وأوحى إليه أن يقوم بأداء مهمة الرسالة والنبوة، ويستنقذ قومه من شراك «إبليس» وتزيينه. لكن القوم الذين ألفوا الضلالة، وأحبو الجهالة، واثروا العمى على الهدى، واستلذوا

أن يروًا الهتهم أنصابًا بين أيديهم، رغبوا عن دعوة نوح وسفهوه، وسخروا منه، ورموه بما هم فيه من داء وغباء، قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الشعراء 105 – 110]، اجتمع الكبراء منهم وتشاوروا فيما ظهر به «نوح» عليهم، فرأى بعضهم أنها بدعة، ورأى آخرون أن الذين آمنوا به وسمعوا له هم الفقراء الضعفاء أراذل القوم فى عرفهم، ورأى آخرون ان «**نوحًا**» – عليه السلام – به سفاهة وضعف عقل وتواصوا بينهم قائلين ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:23]، واستمسكوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وواجهوا «نوحا» – عليه السلام – بموقفهم هذا، واتهاماتهم له، فقال لهم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف 61 – 63].

* التمييز الطبقي:

ورجعوا إلى انفسهم، وتدارسوا الموقف من جديد، واتفقوا على أن يطلبوا من «نوح» أن يتخلى على الأراذل، عن المساكين والضغفاء والفقراء، عندئذ يتبعونه ويوافقونه، إذ كيف يتساوى السادة والأشراف وعلية القوم مع الطبقة الدنيا من الناس؟! كذلك كانوا يفهمون!! فقال لهم «نوح» – عليه السلام –: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:31].

* إنذارهم «نوحا» – عليه السلام –:

استمر القوم في طغيانهم يعمهون، على درب «**إبليس**» يسيرون، ويجادلون بالباطل ولا يتراجعون، وظل «**نوح**» ـ عليه السلام ـ يراجعهم بالحق والمنطق، ويصبر عليهم، ويدعوهم بالرفق واللين، لايمل، ولا يكل، ومضى على ذلك قرون طوال!! (لاتعجب يا بنى العزيز من هذا فقد حدثنا بذالك القرآن الكريم، الذى لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه، ولقد كانت الأعمار تطول و تطول بمقتضى تدبير الله سبحانه وقدره فى الناس والأجيال).

وأخيرًا ضاق القوم ذرعًا بـ«**نوح**» ودعوته، وإصراره وصبره، فقالوا ينذرونه فى صلف وصفاقة: ﴿.. يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود:32]، وقالوا أيضًا: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [الشعراء:116]، فرد عليهم قائلًا: ﴿..لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ﴾ [يونس: 71].

* دعاء «نوح» – عليه السلام –:

وبعد أن طفح الكيل، وبلغ السيل الزبي، ويئس «نوح» – عليه السلام – من هداية القوم، دعا ربه سبحانه وتعالى فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾ الشعراء ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۝١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ۝٢٠ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ

وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:28]، ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ..﴾ [نوح:25]. استجاب الله تعالى دعاء نبيه «**نوح**» -عليه السلام - وحقت كلمة العذاب على الكافرين في الدنيا والآخرة، في الدنيا غرق يعمهم، وفي الآخرة عذاب مهين.

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

وأمر الله تعالى نبيه «**نوحًا**» أن يصنع فلكا عظيمة، سفينة كبيرة، ويستعد لليوم الموعود الذي أنبأه بعلاماته وإشاراته، منها أن يفور تنور أهله في منزله وبيته بالماء، بدلًا من النار التي تتأجج داخله بحيث تمطر السماء مطرًا غزيرًا متواصلًا كأنه أفواه القرب، والأرض تبتلع الماء، حتى إذا غصت طفر الماء على وجه الأرض وفار التنور، وقام «**نوح**» - عليه السلام - بقطع الأخشاب اللازمة، وبدأ العمل بجد وسعى متواصلين، يجمع الخشب إلى بعضه، ويكوره، ويطليه بالقطران، ولقد كان - عليه السلام - نجارًا ماهرًا، يتقن صنعته، ويحسن عمله، وكان يساعده في ذلك بعض المؤمنين من الذين كانت اعين الكافرين والمشركين تزدريهم وتحتقرهم.

* هزء المشركين وسخريتهم:

وكان الملأ من المشركين كلما مروّا على «**نوح**» وهو يؤدي عمله ويقوم بإعداد السفينة، يسألونه عما يفعل سؤالا فيه الكثير من السخرية والاستهزاء، فيجيبهم بثقة وصدق يقين أنهم مغرقون بعذاب الله وعقابه، وأنه سوف ينجو ومن معه برحمة من الله تعالى، فكانوا يحركون رءوسهم مستخفين عقله، ويضحكون من هزال، ويتغامزون ساخرين!!

* امرأة نوح:

وكانت امرأة «**نوح**» من القوم الضالين المشركين، تابعت قومها وسارت على دربهم، وخانت أمانة الزوجية فكانت تنقل إلى السادة والكبراء من الطاغين المشركين الضالين أنباء «**نوح**» والمؤمنين، أولا بأوّل، لا يردعها إيمان، ولا خلق ولا ضمير، ولا إحساس بمسؤولية. قال تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ [هود 37 – 39]

* الطوفان!!

ولقد أمر الله تعالى «**نوحا**» ـ عليه السلام ـ أن يسلك فى الفلك من كل من الحيوانات و الطيور والزواحف زوجين اثين: ذكرًا و أنثى، وأهله المؤمنين أيضًا إلا من سبق عليه القول بالكفر والشرك. وفى ذات يوم أمطرت السماء وهطل الماء وتدفق غزيرًا لا ينقطع، وأوى الناس إلى بيوتهم يتقون بها ولاحظ «**نوح**» ـ عليه السلام ـ أن تنور البيت قد انطفأت ناره، وبدأت الرطوبة تتسرب إلى أرضه وقعره، وكانت هذه هى العلامة والآية، فبادر إلى الفلك وقد أنجزه، وهيأه وركب هو ومن آمن معه، وقد حشر الناس القليلون مع السباع و الحيوانات والطيور.

﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾

ولقد تخلى عن الركوب مع «نوح» من أهله امرأته، تلك العجوز الشمطاء التى نفرت وكفرت، وأقامت مع قومها المشركين، وكذلك أحد أبنائه، ولقد أشفق «نوح» ـ عليه السلام ـ الوالد ـ على ولده، فدعاه إلى الركوب فى الفلك كى لا يكون من المغرقين ـ فقال الولد: ﴿ ..سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ [هود: 43] جهلا وعنادًا ورفض أن يركب، فقال «نوح» ـ عليه السلام ـ ﴿.. لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: 43]، ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ

إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦٓ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [هود 45 - 46] وحقا، فقد كان ابن «**نوح**» هذا من الذين أشركوا وكفروا، وظنوا بالله الحق غير، وانسلخ عن طريق أخوة الإيمان ونسى اليقين فكيف يكون من أهله وفتحت أبواب السماء بماء منهمر، تفجرت الأرض عيونا ينابيع، والتقى الماء على الماء..، وعلت الأمواج من كل جانب وناحية، وسارت السفينة باسم الله مجريها، وغرق كل من على الأرض، وانتهى أمره ونجا «**نوح**» ومن معه من ذريته والمؤمنين، والحيوانات البريئه التى لاذنب لها ولا جناية فى كفر وشرك ﴿.. يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي..﴾ [هود:44]، بعد أيام قليلة كانت صعبة مريرة قاسية على المشركين، فأبادتهم أجمعين، وكانت رحيمة بالمؤمنين فجعلتهم هم الباقين، أتى أمر الله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : 44]، وتوقف المطر، وهدأت الرياح، وسكنت الأمواج، ونظر «**نوح**» ـ عليه السلام ـ فإذا السفينة. على قمة جبل[1] وبدأ الماء ينحسر رويدا رويدا، وأشرقت الشمس، ودبت حرارة الحياة في الأحياء، وعادت الطبيعة إلى ما كانت عليه من نضارة وجمال..

وجاء أمر الله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [هود: 48]، وبدأت من ثم يا بني العزيز دورة الحياة من جديد.

هود - عليه السلام -

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا ..﴾

* من نوح إلى «هود» - عليهما السلام -:

عرفت يا «**بني العزيز**» أن «**نوحًا**» والذين آمنوا معه وخلقا كثير من الحيوانات قد انجاهم الله تعالى من «**الطوفان**» الذي عم الأرض، فأغرق كل من عليها من

(1) يقال إنه جبل «أرارات» في آسيا الصغرى (الأناضول - تركيا)؛ وهو القول الراجح؛ والله أعلم.

المشركين، وعرفت – أيضًا – أن السفينة – الفلك – التي حملته – عليه السلام – ومن معه قد رست فوق جبل « **الجودي**»، ويقال بأنه في (**آسيا الصغرى**) – **الأناضول** – ومن هناك، وبعد أن استقرت طائفة المؤمنين، وتكاثرت وتناسلت، ومرت عليه قرون طوال، اضطر كثير من الناس إلى التفرق والنزوح، والضرب في مشارق الأرض ومغاربها، ولقد اتجهت قبيلة «**عادٍ**» التي ينتهي نسبها إلى «**سام بن نوح**» نحو الجهة الشرقية الشمالية من شبة الجزيرة العربية، ومعها كثير من أبناء العمومة، لكن قبيلة «عاد» استمرت في السير متخذة طريق الساحل، ساحل المحيط الهادي حتى استقرت في منطقة تقع بين «**عمان**» و «**حضرت موت**» بـ«**اليمن**»...، كانت تسمى «**الأحقاف**».

* الأحقاف:

وأنت – يا عزيزي – قد قرأت القرآن الكريم، ومما قرأت فيه سورة من سورة الشريفة اسمها «**الأحقاف**»، والاحقاف – لغة – هي: الكثبان والتلال الرملية العالية، هناك وفي تلك المنطقة ظهرت لقبيلة «**عاد**» حضارة عظيمة، ومدنية باهرة، ولقد وصفها القرآن الكريم بقوله في سورة الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الفجر: 8] و«إرم» هو جد قبيلة «عاد»، وهو «**ابن سام بن نوح**» – عليه السلام – فإليه تنتسب – والعماد: هي الأعمدة الضخمة، وهذا الوصف كناية عن المباني التي سكنوها فأقاموها على الأعمدة الهائلة الراسية، وكانوا أول العرب، واول من نطق باللغة العربية.

* من أشد منا قوة؟؟

مرت على قبيلة «عاد» في مقامها بـ«الأحقاف» أعوام كثيرة، وعقود عديدة. وتقلبت فيها أجيال!! وكانت الأرض التي تراها الآن رملية صخرية في «**الأحقاف**» أرضا زراعية، تتدفق المياه من جوفها ، ويكثر المطر فيها، فانتشرت فيها البساتين الزاهرة النضرة، وكثر الخير وتأثرت حياة «عاد» بذلك، فكانوا في رخاء ورفاهية وترف، ثم استحدثوا لأنفسهم وأبنائهم ألوانا وإنماطًا من أسباب المتعة كثيرة ومتعددة، منها مثلًا بناء القصور التي تحفل بالنعيم والراحة،

لذا كان من عتاب الله سبحانه لهم على عبثهم هذا؛ قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء:129]، وكانوا فيما بنت أيديهم من شامخ البناء، وما يسره الله تعالى لهم من استصلاح الأرض واستنباطها، واستخراج ما فيها من خيرات، يقولون في غرور وجهل ﴿..مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ..﴾ [فصلت:15]؟؟!

* طغيانهم وجبروتهم:

ولقد نزع إليهم الشيطان، ووسوس لهم، وسرت شروره وآثامه إلى نفوسهم وعقولهم، فانحرفوا وضلوا، فعبدوا من جديد الأوثان والأصنام، ونسوا الطوفان..، وهكذا تكون غواية الشيطان. وتولد فيهم بسبب من الجهل والغرور نزعة إلى البطش والجبروت، اللذين كانا عنوانا لمجتمعهم، وقانونًا يسود حياتهم؛ ولقد وصفهم الله تعالى فقال: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء:130].

[redacted] نبي الله «هود» – عليه السلام –

وما كان الله تعالى ليذر الناس في قبضة «إبليس» جندًا له من دون القوى العزيز. فبعث في «عاد» فتى منهم هو «هود»– عليه السلام – ليهديهم إلى الحق وسواء السبيل، ويردعهم عما هم من شرك وظلم. فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:65] وقال أيضًا: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود:50] ودعاهم أيضا وذكرهم، فقال: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء:134].

* تنكرهم واستكبارهم:

فماذا كان جواب قومه؟؟ كذبوه وتعجبوا أن يكون النبي أوالرسول بشرً، قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون:34]، وكما كذبوه في دعوته – عليه السلام – وتعجبوا لبشريته، واستغربوا أيضًا أن يدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد، وترك آلهتهم!! ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا..﴾ [الأحقاف:22]؟؟ ورأوا في ذلك سفاهة وضعف عقل، وجنونًا ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66].

* بين الماء والريح!!

وأنذرهم «**هود**» – عليه السلام – وحذرهم من عقاب الله وعذابه، في الدنيا والآخرة، فما سمعوا لما يقول وينذر، إذ أخذتهم نزعة الغرور والجهل، واستبدت بهم فطغت عليهم ونفخ فيهم «**إبليس**» نفخته الكاذبة، فكانوا كما وصفهم القرآن الكريم وحكى عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت:15] وكما أهلك الله تعالى قوم «**نوح**» من المشركين الضالين بالطوفان، بالماء الطاغي ينزل من السماء وتنفجر به الأرض، أهلك أيضا قوم «هود» بالريح، والماء والريح يا بني العزيز قوتان مسخرتان بأمر الله جل جلاله، وأريدك يا بني العزيز أن تدرك مغزى ومعنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:11]، فالوصف بـ(الطغيان) هو الذي يستدعي النظر.

لأن الماء مادة الحياة الأولى ﴿..وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ..﴾ [الأنبياء:30]، فإذا ما (طغى) وتجاوز الحد المطلوب انقلب إلى سبب هلاك وفناء، وكذلك الريح أيضًا، فالهواء مادة التنفس الذي يحيا به الأحياء، فإذا ما (طغى) وتجاوز الحد المطلوب كان إعصارات مدمرة مهلكة (وهكذا الطغيان في كل أمر وشأن..).

ونعود إلى قوم «**هود**» لقد كانوا – كما عملت – أهل زراعة إذ كانت معتمدهم في العيش، وسبب غناهم ورفاهيتهم وحضارتهم، وأي خلل فيها يقوض كل ذلك ويقضي عليه.

❋ الريح العقيم:

مرت على «**عاد**» قوم «**هود**» – عليه السلام – فترة جدب وقحط، لم تعد السماء تمطر، ولا الأرض تتفجر عيونا، فيبست زروعهم، وجف ماء الحياة في عروق أشجارهم وبساتينهم، واصفرت أوراقها، كان كل ذلك نذيرًا لهم، ولكنهم لا يفقهون، وًاية لـ«**هود**» ومن معه من المؤمنين بأن عذاب الله، فعاد إلى تحذيرهم وتخويفهم من عذاب الله سبحانه، لكنهم أصمّوًااذانهم عن سماع كلمة الحق، وزادوا صغيانًا وقالوا لـ«**هود**» ﴿.. فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف : 70]. وفي ذات يوم رأوا عارضًا من السحاب الأسود الثقيل يستقبل أوديتهم وديارهم، ويتجه إليهم، تسوقه ريح صرصرٌ عاتية، تضج بها السماء والوديان والقيعان، فاستبشروا خيرًا، فتولى عنهم ومن معه، استمرت هذه الريح تضرب فيهم وفي ديارهم وفي زروعهم سبع ليالٍ وثمانية أيام، فاقتلعت كل شيء، ودمرت كل شيء ومحت من الوجود القوم وًاثارهم، فهل ترى لهم من باقية، سوى الرمال والصحراء القفرا. ونجاة «**هود**» ومن معه من المؤمنين القلائل بفضل من الله ورحمة.

هود – عليه السلام –

﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ..﴾

❋ «ثمود» و«الحجر»

بينما حطت قبيلة «**عاد**» رحالها في «**الأحقاف**» وأقامت هناك، ثم بادت بأمر من الله تعالى، كانت «ثمود» تتجه غربًا جنوبًا عبر صحراء شبه الجزيرة العربية الشاسعة، ثم تتخذ من منطقة تسمى «الحجر» موطنًا لها ومقاما، من ساحل البحر

الأحمر وكلتا القبيلتين من جذر واحد وأصل واحد، ينتهي إلى «سام بن نوح» – عليه السلام..

﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴾

نزلت قبيلة «**ثمود**» عند تلك الديار، وكانت أرضا خصبة ذات نماء، فيها الماء الوفير والظل الظليل. فنحتوا من الجبال بيوتًا، وأقاموا زروعا و ثمارا، ودرت عليهم الأرض مدرارًا العطاء الكثير، وأنشئوا جنات معروشات يسيجها النخيل، ومضت عليهم أحقاب من عقود السنين، فإذا هم في الرفاهة ورغد العيش مترفين منعمين.

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق: 7].

هذا اللون من الحياة حياة الغنى والترف مدخل من مداخل الشيطان إلى نفس الإنسان، وسبيل من سبله إلى الاستغناء عن الله تعالى والكفران. لذا وقعت «ثمود» في شرك الشرك وخداع «**إبليس**»، فكفرت بأنعم الله، واتخذت الأصنام آلهة من دونه سبحانه، وانحرفت عن جادة الصراط المستقيم، وليس هذا فقط، بل جرهم الكفر بالله إلى كل منكر وظلم وفحش، وانطبعت حياتهم كلها بطابع الشرور والآثام والفساد.

* «صالح» الصالح – عليه السلام –:

ومن بينهم أنبت الله تعالى «صالحا» – عليه السلام– أنبته نباتًا حسنا، وأنشأه نشأة طيبة، على هدى وبصيرة، راجح العقل، ناضج الرأى، يشهد له الجميع بالفضل وسمو الخلق، ثم عندما آن أوان بعثه ونبوته أوحى الله تعالى إليه بالرسالة ليهدي قومه، فيخرجهم من ظلمات الجهل والفساد إلى نور الحق والهدى.

* دعوة «صالح» وتكذيب قومه:

دعاهم «**صالح**» – عليه السلام – إلى ترك عبادة الأوثان، والإيمان بالواحد الديان..والتوبة مما هم فيه من الشرك والظلم، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ

ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: 61].

وكما كذب الذين من قبلهم رسلهم أنبياءهم، كذبوا هم أيضًا، وزادوا عليهم قالوا لـ «**صالح**» -عليه السلام- إنهم كانوا يرونه فيهم سيدا من سادات الرأى الصائب والقول السديد، ويرجون فيه ومنه الخير الكثير، فإذا هو بمن يدعوهم إليه قد خيب ظنهم وأضاع أملهم. ويقولون: ﴿.. يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ..﴾ [هود:62].

* الآية المعجزة:

قال لهم «صالح» - عليه السلام -: ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: 143 - 154] اجتمع القوم في ناديهم، وتداولوا أمرهم بينهم، ثم قر رأيهم على أن يطلبوا من «**صالح**» أن يأتيهم بآية معجزة على صدقه، ثم واجهوه وقالوا: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: 154]. وطلبوا إليه ان يخرج لهم من صخرة، أشاروا إليها، ناقة وصفوها كما أرادوا، وتعنتوا في الوصف وتشددوا، وظنوا أنهم يعجزونه بذلك، ولكنهم مادروا بأنهم غير معجزي الله.

* ناقة الله - تعالى -:

قال «صالح» - عليه السلام» -: أرايتم إن أجبتكم إلى ما سألتم، وعلى الوجه الذي طلبتم، أن تؤمنوا بما جئتكم به من الحق؟! فقالوا: نعم، وأخذ على ذلك عهودهم ومواثيقهم، ثم قام -عليه السلام- يدعو ربه ويصلي ويتضرع ويسأله التصديق والإجابة، فإذا بالصخرة تئن وتتزلزل ثم تنشق فتخرج منها ناقة عشراء - حامل -، قد اكتملت حسنًا وبهاءًا وجلالًا، وخر «**صالح**» - عليه السلام- ساجدًا شاكرًا وانقسم الناس فريقين: فريق قليل آمن وصدق، وفريق كبير ظل على عناده وكفره.

* لها شرب ولكم شرب:

ولقد كان من شأن الكافرين المشركين الضالين أن أخبتوا وسكنوا قليل إذ داخلت نفوسهم الرهبة. وكان من شروط «**صالح**» – عليه السلام- أن يكون للناقة شرب يوم من عيونهم، ولهم شرب يوم آخر، لا يأتونها في يومها، ولا يعتدون، وألا يمسوها بسوء أبدًا، وأن يتركوها ترعى في أرض الله.

* فكذبوه فعقروها:

وبعد زمن..، والناقة في غدوها ورواحها آمنة مطمئنة، تضايق بعض الكافرين المشركين منها، فائتمروا بينهم على قتلها، وكانوا تسعة نفر، أشقاهم ورئيسهم يدعى «**قدار بن سالف**» أغرته إحدى سيدات القبيلة، إن هو عقر الناقة ان تتزوجه وعاونه على سوء فعله رجل آخر اسمه «**مصرع**»، قد زينت له سيدة أخرى أن تزوجه أي بناتها شاء، وكانت عجوزًا شمطاء تكني بـ«**أم غنمة**» كافرة أشد الكفر.

فترصد «**قدار**» و«**مصرع**» ناقة الله، حتى إذا أقبلت على الماء، وقد شربت ورويت، رماها الأول بسهم، وعقرها الثاني بالسيف ذبحها وسفك دمها! وانفصل عنها جنينها الذي كانت تحمله، وفر حتى اعتلى ربوة، وانتقل الخبر كالبرق بين الناس، فهلل الكافرون، وزغردوا، وأظهروا فرحتهم، وعلا صراخهم.

﴿.. فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ..﴾

لكن ضجيجهم خفت وضعف وتلاشى أمام صوت الصاعقة التي نزلت بهم من السماء، فأخرسهم دويها، وأبادهم أجمعين إلا الذين آمنوا، فقد خرج «صالح» – عليه السلام – من بين الكافرين، ومعه قلة من المؤمنين، قبل أن يحل العذاب على القوم الكافرين، الظالمين، ونهى من معه عن أن ينظروا خلفهم.

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: 50 – 53].

أبو الأنبياء «إبراهيم» – عليه السلام –

* في بيت آزر:

كانت ولادة «**إبراهيم**» – عليه السلام – في بيت رجل يدعى «ازر» هو والده، وكان نجارًا ينحت الأصنام التى استشرت عبادتها و استفحلت، وسيطرت على عقول الناس ومشاعرهم؛ وكان مقام «**إبراهيم**» وشعبه فى «بابل» من أرض «**العراق**» و«**بابل**» فى اللغات القديمة تعنى النهر، وهذا نسبة إلى «**دجلة**» و«**الفرات**» النهرين العظيمين اللذين يبعثان الخصب والنماء فى تلك الأرض. فكان أكثر الناس يتعاطون مهنة الزراعة ورعى الماشية.

فتح «**إبراهيم**» عينيه على أبيه «**آزر**» وعلى جوانب البيت فرأى أنصابا هنا و هناك، وتماثيل تنتشر قي كل مكان، وبخورًا يعبق وتقديسا وتعظيما، وخضوعا وذلًا. فلما أدرك ووعى وظهر له ما يصنع والده بيديه و كيف يعكف بعد ذلك على العبادة!! تنبيه واستشعر الغرابة فى الأمر، وكان الله تعالى قد ألقى فى روع «**إبراهيم**» شعاعا من الهدى أضاء له الظلمات وكشف له سبيل الحق.

* التساؤل:

فسأل أباه ذات يوم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: 74]. وكانت هذه هى البداية، بداية المعركة التى خاضها «**إبراهيم**» ـ عليه السلام ـ فى وجه الباطل، متسلحًا بالحق و النطق. ولكى يجعله الله تعالى موقنا مؤمنا، صلبا فى إيمانه ويقينه هيأ له الأسباب.

* الاهتداء:

فسلكه سبحانه و تعالى مسلكًا فى الاستدلال، وبلوغ الحقيقة التامة الكاملة. يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: 75].

ولقد نبه الله تعالى حس «**إبراهيم**» وعقله على الكون، على الأرض وما عليها من إنسان وحيوان ونبات وجماد وماء، وعلى السماء وارتفاعها وانتشار الكواكب في أرجائها زينة، وضياء، معلقة من غير شيء يشدها!! وكان «**إبراهيم**» بعد أن قال مقالته لأبيه، حرج من الدار سارحا في البراري يتطلع وينظر، ويفكر، فلما أطبق عليه ظلام الليل راعه منظر الكواكب في علوها ونورها، فقال: هذا ربي، ولكنها عندما غابت مع ظهور النهار وإشراقة الشمس، ارتد على نفسه وقال: لا أحب الآفلين، وفي ليلة بعد ذلك رأى نور القمر الفضي وقد اكتمل بدرًا قال مستشبرًا: هذا ربي..، لكن القمر أيضًا أفل وغاب، وكسفته أشعة الشمس الباهرة بنورها الفياض فأسف «**إبراهيم**» وقال: ﴿.. لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام:77] وحيث إنه «عليه السلام» قد رأى الشمس بازغة تملأ الدنيا ضياءً. قال: ﴿.. هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ..﴾ [الأنعام: 78] فلما أدرك الشمس عمر النهار، واصفر لونها وبهت،وبدت عند الأفق تودع الأرض، ثم أفلت، قال مخاطبًا نفسه، والناس أجمعين: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 78 – 79].

* في معبد المشركين!!

وتسلل «**إبراهيم**» ذات يوم إلى معبد القوم، يحمل بيده فأسًا وقد بيت في نفسه أمرًا وراح ينهال بقوة وعزيمة على الأصنام، يحطمها واحدًا إثر الآخر حتى أتى عليها جميعا، وجعلها في الأرض قطعا متناثرة، ماعدا أكبرها الذي علق «**إبراهيم**» الفأس في رقبته وغادر المكان، ودخل خادم الهيكل فرأى **(الكارثة)** فصرخ مستجدا، فاجتمع الناس من كل صوب وحدب، وراعهم ما رأوه قد حل بآلهتهم، فتساءلوا بينهم مستنكرين: ﴿..مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 59]، فقال قائل منهم يعرف «**إبراهيم**» وما عليه من كفر بالأصنام وهزء بها ﴿..سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: 60] فقال كبراؤهم: ﴿..فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: 61] فجيء بـ«**إبراهيم**» وسئل ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: 62]!!

* المنطق والحجة:

فقال «**إبراهيم**» ممعنا في السخرية بعقولهم: ﴿..بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾. [الأنبياء: 63]!! وهنا دخلوا فى دوامة من المراجعة النفسية ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أولا ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.. إذ اتهموا «**إبراهيم**» وهو برىء، ينكر أن يكون قد فعل ذلك، ولقد كانوا أشبه بمن هو فى غيبوبة لشدة الصدمة وهول الموقف، وبعد أن ﴿نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ وفكروا قليلا أدركوا أن «**إبراهيم**» يلعب بعقولهم، ويسخر من تفكيرهم، فقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾!! عندئذ صدمهم «إبراهيم» بالحجة الثانية: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 66 – 67]

﴿..يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ..﴾

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ انطلق القوم غاضبين هائجين إلى ملكهم وبعد التشاور والا ئتمار قرروا أن يتخلصوا من «**إبراهيم**» ودعوته، بالحرق..

فجمعوا أكواما من الحطب، وربطوا «**إبراهيم**» إلى عمود فى وسطها، وجلس الملك وحاشيته على منصة عالية، واحتشد الناس حول المكان للاستمتاع بالمهرجان!!! كان «**إبراهيم**» يتطلع ببصره إلى السماء، فإذا بـ «**جبريل**» الأمين ـ عليه السلام ـ يتنزل عليه و يقول له: ماذا تريد من ربك!؟ فقال «**إبراهيم**» فى ثقة واطمئنان: (علمه بحالى يغني غن سؤالي) ثم غادره «**جبريل**». وأعطى الملك «**النمرود**» أمره بإضرام النار فارتفعت ألسنة اللهب إلى عنان السماء، وامتلأ المكان بالدخان حتى حجب الناس بعضهم عن بعض، وكان لفح النار يشوي الوجوه، ويدمي العيون لكن أمر الله أكبر وأعظم، فهو الخالق الذي وضع لكل شيء خاصيته، فأمر النار أن تكون بردًا بدلا من الحرارة...وأمرها أن تكون سلامًا بدلًا من الحرق والهلاك ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69].

وخرج «**إبراهيم**» من النار آمنًا سالمًا معافى، بمعجزة من الله جل جلاله، وتدبير وتقدير، ورأى الناس ذلك..، جميعهم بلا استثناء فلم يزدهم إلا كفرانا وطغيانا واستكبارًا.

* المحاجة بين «إبراهيم» و«النمرود»:

وحاج الملك «**النمرود**» «**إبراهيم**» فسأله: من ربك الذي تدعو إليه من دوني؟؟ فقال «**إبراهيم**» – عليه السلام –: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ ففكر «النمرود» قليلًا ثم قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾... وامر بإحضار اثنين من السجناء، فضرب رقبة احدهما، وعفا عن الآخر، ترى هل يعجز منطق الإيمان عن رد هذه الفرية والكذبة على صاحبها؟!! فقال «**إبراهيم**» – عليه السلام – ﴿..فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: 258] وتحير، ووقف عاجزًا عن الرد.

* المفارقة:

كان «**إبراهيم**» – عليه السلام – ما يزال بأرض «**بابل**» بين ظهراني أهله وقومه، يحاول هدايتهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، لكنهم ظلوا في طغيانهم وكفرهم يعمهون، وفي الضلالة سادرون. وضاق به والده ذرعًا فأنذره إن لم يكف عمَّا يدعو إليه فليغادر بيته ودياره فورًا، وكان «**إبراهيم**» قد تزوج من «**سارة**» ابنه عمّه، ولكنها لم تنجب أولادًا، وقد آمنت بدعوته واتبعته، وكذلك ابن أخيه «**لوط**»، وكان هؤلاء النفر الثلاثة هم طليعة موكب الإيمان بالله تعالى. وقبل – عليه السلام – الإنذار بالرحيل، فقال لأبيه: ﴿..إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: 99] ثم دعا قائلًا: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:100] وقال موجهًا كلامه لأبيه ﴿..لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ..﴾ [الممتحنة:4].

وخرج من البلاد من «بابل» معه زوجته «سارة» وابن أخيه «وماشيته» التي هى كل ثروته وماله، واتجه نحو الجنوب الغربي، متوكلًا على الله معتمدًا عليه داعيا في ضرية وخشوع: ﴿.. رَبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:4].

* في «حبرون» من أرض «فلسطين»:

أنت تسمع يا بني العزيز ببلد في «**فلسطين**» اسمها «**الخليل**»، قريبة من القدس الشريف، ولقد سميت بذلك نسبة إلى «**إبراهيم**» -عليه السلام- الذي اتخذه الله خليلا، أي صاحبا لكنها ليست كصحبة الناس بعضهم ببعض طبعا، بل رعاية من الله تعالى لنبيه - عليه السلام -: «**والخليل**» نفسها هي أرض «**حبرون**» التي نزلها مع زوجته «**سارة**». أما «**لوط**» - عليه السلام - قد أنزل عند البحر الميت، الذي يسمى أيضا بحيرة «**لوط**».

* إلى «مصر»:

كثرت ماشية «**إبراهيم**» وازدادت نماءً وعظمت ثروته، كما بشر بدعوته بين الناس هناك، وسلك فيهم مسلك قدوة، فكان محط أنظارهم وإعجابهم، والتفوا حوله وفى ذات يوم، وقد كان خلوة فى البرية خطرت له خاطرة، فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ويبعث من فى القبور، فجاءه الرد من السماء بعتاب لطيف رقيق: ﴿..أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ فقال ـ عليه السلام ـ ﴿.بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ..﴾ [البقرة: 260] فوافقه ربه على طلبه، وأمره أن يأتى بأربعة من الطير ويدعهن، ثم يجعل على كل قمة جبل منهن جزءًا، وليدعهن بعد ذلك يأتينه سعيا، أحياء ترف بأجنحتهن! فلما فعل وعادت الطيور الأربعة أحياء من غير سوء، خر ـ عليه السلام ـ ساجدًا شاكرًا منيبا وارتحل «إبراهيم» مع زوجته «**سارة**» فى رحلة إلى «**مصر**»، ولقى هناك إكرامًا وترحيبًا، وعاد منها محملًا بالهدايا الكثيرة، ومن بينها جارية مصرية تدعى «هاجر».

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

كان مما يؤرق «**إبراهيم**» ـ عليه السلام ـ أنه قد امتدا به العمر وجاوز العقد الثامن ولم ينجب طفلًا، وأن دعوته ربه ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لم تأخذ طريقها بعد إلى عالم الأحياء، وكانت زوجته ابنة عمه «**سارة**» من جهة ثانية تحسن نفس الإحساس، وتتمنى على الله تعالى مولودًا تقربه الأعين، ولقد رأت أن تقترح على «**إبراهيم**» أن يدخل بـ«**هاجر**» ـ يتزوجها ـ لعل الله يرزق «**إبراهيم**» الولد.

إسماعيل «عليه السلام»

❋ إسماعيل – عليه السلام–:

وهنا – يا بني العزيز – تتصل بقية حياة سيدنا «**إبراهيم**» بقصة حياة سيدنا «**إسماعيل**» – عليهما السلام – لقد حملت «**هاجر**»، ثم وضعت مولودها الذكر، فسموه «**إسماعيل**»، الذي كان قرة عين أبيه «**إبراهيم**»، كما حظيت «**هاجر**» بعد ذلك بمزيد من العطف والحنان يغدقهما «**إبراهيم**» عليها ودبت غيرة الأنثى في نفس «**سارة**» فطلبت من زوجها «**إبراهيم**» أن يرحل «**هاجر**» إلى مكان قصى مع وليدها.

❋ إلى صحراء «الحجاز»برية «فاران»:

وأوحى الله تعالى إلى عبده «**إبراهيم**» أن يحمل «**هاجر**» وولدها إلى برية «**فاران**» صحراء الحجاز فأطاع ومضى، وكانت هذه الرحلة من أعظم وأشرف وأسمى ما أشرق على البشرية والإنسانية من هدى ورحمة.

❋ في وادي «بكة»:

وحين بلغ الركب الميمون وادي «**بكة**» توقف عن المسير وأناخ «**إبراهيم**» – عليه السلام – راحلة «**هاجر**» وولدها «**إسماعيل**»، ولم يكن في ذلك المكان القفر الموحش بشر ولا شجر ولا ماء، سوى أنه كان بجوار «**البيت الحرام**» الذي زالت معالمة وعفت آثاره، وطمرته الرمال، وانفض الناس من حوله.

وهذه المعلومة – يا بني العزيز – قد غيبها التاريخ، وابتلعها مرور أحقاب السنين، وانحراف الناس عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الأوثان والأصنام، وضربهم في الأرض.

❋ إيمان «هاجر»:

وترك «إبراهيم» «**هاجر**» ومعها طفلها الرضيع «**إسماعيل**»، ووضع بين يديها سقاء فيه ماء وجرابا فيه تمر، واتجه يريد مغادرة المكان، فقالت «**هاجر**»: الله أمرك يا «**إبراهيم**» أن تتركنا هنا؟!!! فقال: نعم، قالت وقد أسلمت أمرها إلى الله: إن الذي أمرك لا يضيعنا.

❋ دعاء «إبراهيم»:

وعندما أصبح «**إبراهيم**» في نجوة عن المكان، عند ربوة عالية من الروابي، التفت خلفه ونظر إلى أسرته الصغيرة بحنان وإشفاق، ثم اتجه ببصره إلى السماء ودعا ربه بحرارة وصدق يقين قائلًا: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37] ثم مضى..

❋ زمزم:

واقامت «هاجر» مع «إسماعيل» الرضيع أيامًا، حتى إذا نفد زادها من التمر و الماء وبدأ الطفل يبكي من الجوع والعطش قامت تسعى بين ربوتين[1] لعلها ترى قادما أو مارًا من الناس تستنجد به، وأو أثرًا لشجر، ولوبعيد. حتى إذا يئست وقد أجهدها السعي عادت إلى مكان الطفل فرأت عند قدميه أن الأرض قد تفجرت بالماء العزيز النمير.. وهو يتدفق فوق الرمال، فزمته بيديها ما استطاعت وشربت وسقت طفلها، وأدركت أن رحمة الله تعالى تكلؤها، وأنها قريبة من المحسنين، تشملهم في كل آن وحين.

❋ «بنو جرهم»:

وبعد أيام مر بها طائفة من الأعراب الرحل، من «**بني جرهم**»، فعجبوا أن يجدوا في ذلك المكان خباء، وماءً ولم يعهدوا ذلك من قبل، فاستأذنوا «**هاجر**» ان ينزلوا بجوارها فسمحت لهم لكنها اشترطت عليهم ان تكون هي صاحبة الماء، ولا حق لهم فيه سوى السقيا..فوافقوها. ومنذ ذلك الحين بدأت معالم «**مكة**» تأخذ طريقها إلى الوجود. واستجاب الله تعالى دعاء نبيه «**إبراهيم**» – عليه

(1) الصفا والمروة.

السلام- وكان سيدنا «إبراهيم» - عليه السلام يأتي «**مكة**» بين حين وآخر ليطمئن على ولده «**إسماعيل**» وزوجته «**هاجر**»...

* البلاء المبين:

وفي إحدى تلك الزيارات التفقدية وبينما كان «**إبراهيم**» - عليه السلام - نائما، جاءه طائف من عند الله فأمره بذبح ولده «**إسماعيل**»!! فهب من رقاده مذعورًا فاستغفر الله واستعاذه، ثم عاد إلى النوم، ولكن الطائف عاده مرة ثانية وثالثة. فأدرك - عليه السلام - أنه مأمور من الله بذلك ابتلاءً وامتحانًا. ولقد كان من أشق الأمور على «إبراهيم» أن يصارح «إسماعيل» بذلك... وكان «**إسماعيل**» - عليه السلام - قد كبر ودرج وبلغ مرحلة السعي وأصبح صبيا يافعا، وكم كان رضى «**إبراهيم**» كبيرًا، ونفسه مطمئنة عندما حدث «**إسماعيل**» بما رأى، فاستجاب له «**إسماعيل**»!! ﴿..قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: 102]

* الفداء:

وخرجا من مسكنهما دون أن تحس «**هاجر**» بهما، متهجين إلى مكان قصى بعيد، بين «**مكة**» و «**عرفات**». وفي الطريق حاول «**إبليس - الشيطان**» أن يثنى «**إبراهيم**» عن عزمه ليعصى أمر الله تعالى في هذا الابتلاء العظيم والامتحان العسير، لكن «**إبراهيم**» - عليه السلام - كان يلتقط الحصى من الأرض ويقذف به وجه الشيطان الذي كان يتخايل له، مرات ومرات، حتى إذا بلغ المكان المقصود واضجع «إبراهيم» ولده «**إسماعيل**» إلى الأرض، وامتدت يده بالمدية الحادة تريد ان تنفذ امر الله بالذبح جاءه الهاتف والفداء، هاتف من الله تعالى يقول: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

* البشرى بـ «إسحاق»:

وعاد النبي الطاهر الصادق المؤمن، خليل الله «**إبراهيم**» - عليه السلام - إلى دياره في «حبرون» من أرض «**فلسطين**»

إسحاق – عليه السلام –

﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: 112]

مضت سنوات على ولادة «**إسماعيل**» – عليه السلام – وكانت «**سارة**» زوجة سيدنا «**إبراهيم**» – عليه السلام – هى التي أشارت عليه أن يذهب بـ «**إسماعيل**» وأمه «**هاجر**» إلى مكان بعيد كي لا تراهما أمام عينيها بدافع من الغيرة الأنثوية والضيق النفسي.

* ضيف إبراهيم:

وفي ذات يوم نزل بيت «**إبراهيم**» ضيوف قادمون، وكان بيته كعبة القصاد والزائرين والمارين، نظرًا لمقامه ومكانته وغناه، فسعى «**إبراهيم**» – عليه السلام – لإكرامهم، فأتى لهم بعجل حنيذ (قد شوى على النار واحمرَّ)، لكن ايدي الضيوف لم تمتد إلى الطعام لتأكل، فأوجس «**إبراهيم**» في نفسه واضطرب وسأل: ما لكم لا تأكلون؟؟فأخبروه أنهم من الملائكة قد أرسلوا في مهمتين متتابعتين، الأولى: لتدمير الديار التي يسكنها قوم «**لوط**» – عليه السلام – وقلبها على رءوس أصحابها لأنهم قوم سوء فاسقون، والمهمة الثانية: هي تبشير «إبراهيم» – عليه السلام – بغلام!! وكانت «سارة» تقف غير بعيد في الدار، تستمع لما يقول الضيف فصكت وجهها، وضربت جبهتها تعجبا وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم؟!!! فقال الضيف (الملائكة) وقد سمعوا مقالتهم ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات: 30] واستخبرهم «**إبراهيم**» – عليه السلام – عن قضية قوم «**لوط**» يريد أن يطمئن على ابن أخيه. فحكوا له قوم «**لوط**» كانوا قوم سوء فاسقين. أنهم في سكناهم عند البحر الميت، في قريتي «سادوم» و«**عامورة**» قد أتوا من المنكر ومن سوء الأخلاق ما لم يعهده البشر من قبل وأنهم قد خالفوا أوامر الله تعالى وسننه في الخلق وفي الكون. لقد كانوا يأتون المنكر في نواديهم وعلى رءوس

الأشهاد، علانية أمام الناس، من غير رادع ولا مانع من ضمير أو خلق أو دين، لقد جف ماء الحياء في عروقهم وما عادوا يبالون بشيء.

وعلى الرغم من أن «**لوطا**» قد دعاهم إلى الهدى والفضائل، وسعى فيهم يبصرهم وينهاهم ويحذرهم، لكنهم لم يستجيبوا له، واتهموه بالتطهر!! (تصور يا عزيزي القارئ مجتمعا من هذا النوع، يصبح فيه التطهر من السوء، والترفع عن الدنايا تهمة!! والدعوة إلى الفضيلة جناية!!) وحكى الملائكة لـ «**إبراهيم**» أن زوجة «**لوط**» قد أخبرت الناس الفاسقين بوجود ضيوف عند «**لوط**» هم أجمل الخلق وجوها وأحلاهم منظرا، ودعتهم إلى إتيانهم في بيت «**لوط**» وارتكاب المنكر والفحشاء معهم!! وشجعتهم على ذلك، وكانت زوجة «لوط» تعنينا نحن – الملائكة– ضيوف «**إبراهيم**» ولقد فوجئنا بجمع الناس وحشودهم يحيطون بنا في البيت «**لوط**»، فخرج إليهم يحاول معهم أن يصدهم عن بغيتهم الحمقاء، ويقول لهم: لا تخزوني في ضيفي، وإن كنتم لابد فاعلين فهؤلاء بناتي هن أزكى لكم.. لكنهم لمن يستجيبوا له، وعلا صراخهم وضجيجهم في الخارج فارتد إلينا وقد شحب لونه، واصفر وجهه وامتقع خوفا وخجلًا، فطمأناه إلى اننا رسل من عند الله، وقد حقت كلمة العذاب على الكافرين الفاسقين، ولسوف نجعل «**سادوم**» و«**عامورة**» عبرة في السابقين واللاحقين..وطلبنا إليه أن يخرج بأهله ومن آمن معه من بين ظهراني القوم، ولا يلتفتوا أبدًا خلفهم في تلك الليلة، تسلل «لوط» ومن معه من أهله والمؤمنين من خلف البيت، وقد أسلموا أمرهم لله جل جلاله. وفي لمحة جعلنا عالي البلاد سافلها، ونقضناها على من فيها وارتجت الأرض كأن زلزالا أصابها، وتفجرت بالنيران تأكل الأخضر واليابس، وتحرق كل شيء، وتحيل الليل الدامس نهارًا مشرقًا بنور النيران الملتهبة، ونجا «**لوط**» ومن معه.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الصافات: 135] هى امرأته التي كان هواها مع الناس والقوم، فالتفتت وهي في طريق النجاة والخلاص إلى الخلف لترى ما حل بالقوم من الهلاك...في إشفاق وحب وطاعة للشيطان، فضلت... وكانت من الهالكين، لأن الله لا يهدي كيد الخائنين، فقد خانته – سبحانه – من قبل،

وخانت زوجها! حيث كان هواها مع أعداء الرسالة، ولم تقف إلى جانب الدعوة مؤيدة ومساندة.

* إسحاق - عليه السلام -:

اطمأن «**إبراهيم**» - عليه السلام - على ابن أخيه «**لوط**» ونجاته، واستبشر بحمل «سارة»، وكان كلاهما قد بلغ من الكبر عتيا.

فلما آن أوان الوضع، وضعته ذكرًا، واتفقوا على تسميته «**إسحاق**»[1]

* زواج إسماعيل:

كان «**إسماعيل**» - عليه السلام - قد شب وكبر وتزوج فتاة من «**بني جرهم**» الذين سكنوا مع أمه «**هاجر**» وداي «**مكة**» وكان «**إسماعيل**» فيهم هاديا، داعيا إلى الخير، آمرًا بالمعروف ناهيا عن المنكر، ولقد عرفوا فيه جميعا تلك الصفات وحسن القدوة فاتبعوه وتأسوا به. وكان «**إبراهيم**» - عليه السلام - يزور ولده «**إسماعيل**» بين وقت وآخر. كما قدمنا - في إحدى المرات جاءه، بعد أن تزوج، فاستقبلته زوجة «**إسماعيل**»، فسألها عنه، فقالت: إنه قد خرج يسعى على رزقه، ثم سألها عن حالهم، فشكت له قلة ذات اليد وسوء العيش، فقال لها بعد أن ودعها: قولي لزوجك أن يغير عتبة الدار، ثم انصرف ولم يمكث رغم بعد الشقة وطول المسافة وجهد السفر، وعاد «**إسماعيل**»، فأخبرته زوجته بما كان من أمر الشيخ الزائر، فأدرك «**إسماعيل**» المغزى والمعنى، فقال زوجنه: إنه والدي «**إبراهيم**» وقد أمرني بمفارقتك، الحقي بأهلك!! وتزوج غيرها، وجاءه «إبراهيم» في زيارة أخرى، فلم يجده أيضًا، ورأى أنَّ التي استقبلته اليوم عند الباب غير التي استقبلته بالأمس، فأراد أن يمتحن صدق إيمانها، فسألها عن حالهم، فحمدت الله على ما أنعم وتفضل، وشكرت وأقرت، فتبسم «**إبراهيم**» وقال لها: قال لها: قولي لزوجك أن يثبت عتبة داره ومضى أيضًا.

(1) ويلفظ باللغة العبرية (يتسحاق) وترجمتها إلى العربية: (يضحك) أي أن كل من يسمع بهذا الحمل وهذه الولادة لابد أن يضحك.

وعاد «**إسماعيل**» من سعيه وعمله، فأخبرته الزوجة الجديدة بما كان وجرى، فقال «**إسماعيل**» – عليه السلام –: إنه والدي، قد أعجب بك، وبصدق إيمانك، وأمرني أن أحافظ عليك.

* إعادة بناء الكعبة:

وفي إحدى زيارات «**إبراهيم**» لولده «**إسماعيل**» في «مكة» جاءه طائف من عند الله تعالى يأمره و «**إسماعيل**» أن يقيما بيت الله تعالى، ويرفعا قواعده من تحت ركامات السنين والرمال، ليكون هذا البيت مثابة للناس من كل مكان، يأتونه حاجين آمنين، لا يعبدون فيه غير الله تعالى، ولا يشركون به شيئا، فشمر الأب والابن عن سواعد الجد، وقاما بالعمل خالصًا لوجه الله تعالى.

فلما تم البناء – بناء الكعبة – رفعا أيديهما بالدعاء إلى الله سبحانه أن يتقبل عملهما هذا بقبول حسن.. ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 127 – 129]. وكانت هذه زيارات «**إبراهيم**» ـ عليه السلام ـ الأرض «**الحجاز**»، فقد دنا أجله بعد ذلك، وحضر «**إسماعيل**» وفاته ودفنه في فلسطين في بلده «الخليل».

* زواج إسحاق:

قام «**إسحاق**» برحلة إلى «**بابل**» في «**العراق**»، موطن أبيه الأول، وهناك تزوج من فناة هى إحدى قريباته، وعاد بها إلى «**فلسطين**»، وكان ذلك قبل وفاة أبيه «إبراهيم».

ولقد حمل «**إسحاق**» – عليه السلام – أعباء النبوة والدعوة إلى الله بعد أبيه، فقام في شعبه وقومه بواجبات الأمر بالحق والسير بهم على صراط مستقيم، لا يفتأ يحذر وينذر ويرشد ويعلم.

ولم تكن النبوة قد انتقلت إليه بعد أبيه «**إبراهيم**» بحكم الإرث او الوصية، ولكن بتوجيه وتدبير من الله جل جلاله، ولقد كان «**إسحاق**» بحق خير خلف لخير سلف.

وذلك في نطاق وحدود أرض «**حبرون**» وما حولها دونما اتساع او توسع. كما أن «**إسماعيل**» كان يقوم بنفس المهام في «**برية فاران**»، في ارض الحجاز، ويرسى قواعد التوحيد ومكارم الأخلاق في نفوس الناس وعقولهم. وهكذا حمل أبناء «**إبراهيم**» – عليه السلام – رسالة أبيهم بأمانة وصدق وإخلاص.

❋ «عيسو» و«يعقوب»:

ووضعت زوجة «**إسحاق**» توأما، ذكرين، هما «**عيسو**» و«**يعقوب**» وكان خروجهما عند الولادة على ترتيب ذكر اسمهيهما، أولًا «**عيسو**» وثانيا «**يعقوب**».. و«**يعقوب**» يا بني العزيز – هو «**إسرائيل**» عبد الله، والد الأسباط الأثنى عشر الذين تفرع منهم «**بنو إسرائيل**».

❋ وحكاية «يعقوب» والأسباط:

أن دعوة الأب لابنه بالنبوة منذ عهد «**إبراهيم**» – عليه السلام – كانت بمثابة التمنى على الله تعالى سبحانه، والله يختار من يشاء، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وعندما شاخ «**إسحاق**» وكبر، وقارب أن يفارق الدنيا دعا ربه سبحانه وتعالى. أن يعهد إلى «**يعقوب**» الذي كان موضع اهتمام الوالدين: الأب والأم، ومحل رعايتهما، كما أنه كان مؤهلا أن يحمل أعباء أمانة النبوة، يجاهد ويكافح في سبيلها.

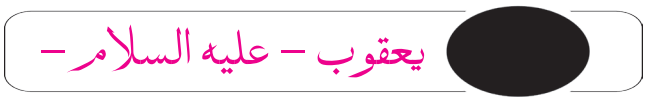

يعقوب – عليه السلام –

[إسرائيل عبد الله]

* في العرق:

ارتحل «**يعقوب**» إلى «**العراق**» ونزل في ضيافة أحد أخواله، وكان لهذا الخال فتاتان، إحداهما تدعى «**لئية**» والأخرى تدعى «**راحيل**» وأعجب «يعقوب» بـ«**راحيل**» وأحبها، ورغب أن يتزوجها، لكن خاله زوجه من «**ليئة**» فولدت له أكثر أبنائه، ولكنه كان لا يزال يحب «**راحيل**» ويتمناها.. فعرض الأمر على خاله، فوافق بشرط أن يعمل عنده فترة من الزمن، فإذا انقضت المدة زوجه من «**راحيل**»، فوافق «**يعقوب**» وخدم خاله بأمانة إخلاص، فلما أتم المدة، حمل معه زوجته الجديدة «**راحيل**» وكذلك زوجته «**ليئة**» وأبناءه منها، وعاد بالجميع إلى فلسطين.

* الأسباط الاثنا عشر:

وتم لـ«**يعقوب**» من البنين اثنا عشر ولدًا كلهم من الذكور، ليس بينهم أنثى واحدة، عشرة من «**ليئة**» واثنان من «**راحيل**» هما «**يوسف**» و«**بنيامين**». وبعد مدة من الزمن ماتت «**راحيل**» فحزن «**يعقوب**» لموتها غاية الحزن. خصوصا وأن طفلها «**بنيامين**» لايزال رضيعًا ولقد تولت «**ليئة**» تربية الصغير وحدبت عليه وعطفت، كما كانت تحب ابن اختها «يوسف» أقصى الحب وأسماه.

يوسف - عليه السلام-

* أحب الأبناء:

كان «يوسف» – عليه السلام – أحب أبناء «**يعقوب**» إلى قلبه، وأقربهم إليه، فهو على الدوام يذكره بـ «**راحيل**»!! كما كان من ناحية ثانية مطواعا، رضى الخلق، هادئ الطبع والنفس، ميالًا إلى العبادة والاستغراق فيها. وكان موقعة هذا من أبيه، وجماله من أسباب محنته وابتلائه، ودخوله في سلسلة من التجارب الشاقة الصعبة التي لا يطيقها إلا أولو العزم.

إني رأيت..

استيقظ «**يوسف**» ذات صباح وقد رأى رؤيا في منامه، فلجأ إلى أبيه «**يعقوب**» مستفسرًا مستوضحًا، وقال: ﴿.. رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4]. فماذا في ذلك؟ وما تأويل هذه الرؤيا؟

فقال «**يعقوب**» –عليه السلام– وكأنه يشير من طرف خفي إلى رموز الرؤيا ومدلولاتها ومعانيها –: ﴿..يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: 5]. ثم إن «**يعقوب**» – عليه السلام – بشر «يوسف» بالنبوة والاصطفاء والاختيار، قائلا له: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف : 6].

* التآمر:

وكان أخوة «**يوسف**» يرون هذا الحب من أبيهم لأخيهم، وهذا الإيثار، كما كانوا يرون جمال «**يوسف**» وحسنه يتألقان كلما ازداد نموًا وفتوة، يرون ذلك فيتأثرون، يحقدون ويحسدون..

ثم إنهم تناجوا فيما بينهم فقالوا: ﴿..لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8]. وكانوا يعنون بأخي «**يوسف**» أخاه الصغير من أمه «**راحيل**» المدعو «**بنيامين**» تناجوا وتحدثوا، قد بدأت البغضاء من أفواههم في أقوالهم وكلماتهم، أما ما كانت تخفيه صدورهم من الشر فكان أكبر وأعظم. وأخيرًا اتفقوا على خطة للخلاص من «**يوسف**» وليخلص لهم وجه أبيهم؛ وليفوزوا وحدهم دون أخويهم «**يوسف**» و«**بنيامين**» بحب «**يعقوب**» وإرثه.

ولقد رواحت خطتهم في التخلص من «يوسف» بين القتل أو الرمى في أحد الآبار..! قال بعضهم: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 9]. لكن آخرين منهم قالوا: ﴿.. لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: 10].

واتفقوا على التدبير الأخير. ثم دخلوا على أبيهم واخبروه أنهم يريدون أن يذهبوا إلى البرية في صباح اليوم التالي ليستمتعوا بالطبيعة ويتنزهوا ويتريضوا وأنهم يودون أن يأخذهم معهم أخاهم «**يوسف**»! فاعترض «**يعقوب**» – عليه السلام – قائلًا: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف: 13] فقالوا: كيف يكون هذا يا أبانا ونحن جماعة كثيرة؟! ﴿.. إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: 14]. وبعد محاورة ومداورة وإلحاح، وافق «**يعقوب**» – عليه السلام – أن يأخذ الأبناء معهم «**يوسف**» خصوصا وقد أخذ عليهم العهد بالمحافظة على «**يوسف**».

❋ التنفيذ:

وانقضى النهار. ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ [يوسف:16] وليس معهم «يوسف»، ثم قالوا ﴿.. يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ..﴾ واستدركوا فقالوا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: 17].

ثم قدموا الدليل، وهو قميص «**يوسف**» – عليه السلام – وقد تلطخ بدماء كاذبة لم تكن دماء بشرية، بل دم حيوان مسفوح.. فأمسك «يعقوب» – عليه السلام – بالقميص وقال: ما أرفق وأحنى هذا الذئب على ولدي، لقد افترسه دون أن يمزق قميصه!! وأدرك – عليه السلام – فرية الإخوة وجنايتهم وادعاءهم الكاذب فقال: ﴿..بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]. واشتد حزن «يعقوب» – عليه السلام – على «يوسف» وبكاؤه حتى عشيت عيناه وابيضتا.

* يا بشري هذا غلام:

وقضى «**يوسف**» – عليه السلام – في البئر التي القى فيها ليلة رهيبة، ظلام حالك وبرد شديد قارس، وخوف هالع، ولكنه – عليه السلام – وقد دخل تجربته الأولى – كان متمسكا بالله، معتصما به، متوكلا عليه ومرت بالبئر قافلة سيارة، فأرسلوا أحدهم ليستقى لهم من مائها، فلما أدلى دلوه تعلق به «**يوسف**»، وارتفع، فلما رآه قال: ﴿..يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ..﴾ [يوسف:19]. واتفق السيارة على أن يتخذوه بضاعة ليبيعوه في سوق العبيد في «**مصر**» التي يقصدونها.

* أكرمي مثواه:

وبيع «يوسف» – عليه السلام – في سوق النخاسة بدراهم قليلة، بثمن بخس دراهم معدودة، لأن السيارة كانوا فيه من الزاهدين، إذ كانوا يريدون الحصول على المال، مهما كان مقداره!! وكان الذي اشتراه «عزيز مصر» وكان رجلًا ذا مقام رفيع، ومنصب عال، متقدما في السن، لم ينجب أولادًا، فلما حمله معه إلى داره قال لأمراته: ﴿..أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا..﴾ [يوسف:21]

* في بيت عزيز مصر:

وخرج «**يوسف**» – عليه السلام – من محنة الجب ليدخل في محنة العبودية والرق، في بيت العزيز، وكانت زوجة العزيز سيدة صغيرة السن، قد أعجبت بجمال «**يوسف**» وحسنه وشبابه فكانت مع مرور الأيام تزداد تعلقا به وميلًا إليه،

وكان هو من ناحية أخرى يزداد نضوجًا واكتمالًا، ويزداد قربًا من الله تعالى، ويقينًا وإيمانًا وعلمًا وحكمة.

* محنة جديدة:

وفي ذات يوم، وكان العزيز غائبًا عن الدار في عمله اشتد جنون امرأة العزيز بـ«**يوسف**» وأرادته على المنكر والفحشاء، وغلقت الأبواب، وعرضت له، وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ فامتنع وأبى وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ..﴾ [يوسف:23]. كيف أخون رجلًا يملك رقبتي؟! كيف أخون سيدي الذي أكرمني ونجاني ورعاني واحلني هذا المثوى الكريم في داركم.

* ولقد همت به:

ولكن امرأة العزيز لم تستجب لنداء الضمير والحق، بل استبدت بها شهوتها، وطغى عليها نداء الجسد فلاحقت «**يوسف**» من زاوية إلى زاوية في مخدعها حتى همت به وهم بها فتداركه لطف الله وعنايته، وصرف عنه السوء والفحشاء ففر من بين يديها فلحقت به تشده من قميصه من الوراء، وهما يتسابقان نحو الباب الرئيسى الخارجي للدار.

* سيدها لدى الباب:

وفوجئ الاثنان: «**يوسف**» وامرأة العزيز بدخول الزوج ومعه ضيف من أقربائها، فقالت – وقد روعت، تريد أن تنفي التهمة عن نفسها وتلصقها بـ «يوسف» – عليه السلام –: ﴿..مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25]؟!! ونطق «**يوسف**» –عليه السلام – مدافعا عن نفسه فقال: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف:26]. هى التي أرادتني على السوء والفحشاء، ومعاذ الله أن أخونك في دارك، أو أكون من الخائنين في أي مكان، وعلى أية صورة.

* وشهد شاهد من أهلها:

وأصابت الزوج دهشة وحيرة، وسكت كأنما خرس، أو نزلت به صاعقة. فقال الضيف، الشاهد من أهلها وأقربائها: لئن كان قميص «**يوسف**» ممزقا

من الأمام تكون في دعواها صادقة، وإن كان قميصه مقطوعا من الخلف تكون كاذبة وهو من الصادقين. وأمام هذه الحجة المنطقية سكت الجميع، ثم نظروا فإذا قميص «**يوسف**» مقطعا من الخلف عندئذ نطق الزوج اليائس البائس الذي يريد أن يداري الفضيحة ويكتم الأمر حتى لا ينتشر: ﴿..إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 28]. ثم توجه إلى «يوسف» مخاطبًا مسترضيًا طالبًا إليه ألا يتحدث بما وقع وجرى ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ﴾ ثم أضاف موجهًا الكلام لزوجته: ﴿..وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 29].

❋ شيوع الخبر:

لكن خبر الحادثة لم يبق مكتومًا فقد ذاع وانتشر، وزكمت رائحته الأنوف، وتحدَّث النسوة في مجتمعاتهم وزياراتهم، قلن: هل سمعتن: ﴿..ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:30].

❋ ما هذا بشرًا!!

وسمعت امرأة العزيز بما يقال عنها في الأندية بين النساء، فأرادت أن تخرس ألسنتهن، فدعتهن ذات يوم إلى وليمة في دارها، فحضرن وجلسن يتناولن الطعام، وكان في يد كل واحدة منهن سكين تستخدمها في تقطيع اللحم والفاكهة.

ثم طلبت امرأة العزيز من «**يوسف**» أن يخرج عليهن بداعي الخدمة، وما كان يطلع عليهن حتى أخذن بسحر جماله وأصابهن الذهول عما في أيديهن من السكاكين، فجرحن وسالت دماؤهن وقلن في لهفة وإعجاب:

﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:31].

عندئذ قالت لهن امرأة العزيز: ﴿..فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ..﴾ .

ثم قصت عليهن قصة مراودتها له من قبل، ثم أعلنت في إصرار وعناد على الفاحشة، وعود إلى المراودة:

﴿.. وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ ..﴾ [يوسف:32].

* في السجن:

ولقد رأى العزيز، وقد انتشر الخير وذاع – ان يودع «**يوسف**»السجن إلى حين، كي يكون الوقت عاملًا في نسيان الأمر..

ولقد كان من «**يوسف**» – عليه السلام – أن دعا ربه فقال: ﴿..رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: 33].

لقد أحب – عليه السلام – عزلة السجن وظلامه وقهره على أن يقع في الفتنة.

وهكذا دخل «**عليه السلام**» مرحلة جديدة من مراحل المحن التي ابتلاه الله بها.

وفي السجن كان «**عليه السلام**» عاكفًا على العبادة، يغرف من العلم والتقوى، ورأى الناس المسجونين معه على غير هدى، فنذر نفسه لتبصرتهم وتوعيتهم، وخاطب الذين يشركون بالله قائلًا:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 39 – 40].

* تأويل الأحاديث:

وكان الصاحباب اللذان خاطبهما «**يوسف**» – عليه السلام – قد دخلا معه السجن نفس اليوم، وبعد أن رأياه على ما هو عليه من العلم والحكمة والعبادة، طلبا إليه أن يفسر لهما رؤيا رآها كل منهما في منامه.

﴿..قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]

وكان الأول ساقي الملك. وكان الثاني: خبازه فقال لهما – عليه السلام – ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41]

ولقد قال أيضًا – عليه السلام – للذي ظن أن ناج منهما، هو الساقي: لا تنس أن تذكرني عند الملك وتذكر ظلامتي.

❋ رؤيا الملك:

وصدقت فراسة «**يوسف**» – عليه السلام – في تأويل الرؤيا، بما علمه الله تعالى فنجا الساقي واعدم الخباز لكن الساقي نسى «**يوسف**» وما أنساه إلا الشيطان.

وصحا الملك ذات يوم على رؤيا أفزعته وأهمته، فجمع من أجل تأويلها كبار المنجمين، وأخبرهم انه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ضعاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، ثم طلب الملك من الحاضرين ان يبينوا له معنى رموز هذه الرؤيا.

ففكروا، وقدروا، وقلبوا الأمر على جميع وجوهه، ثم نفضوا أيديهم وقالوا: ﴿.. أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

❋ يوسف الصديق:

كان ساقي الملك حاضرًا، وقد سمع هذا الحوار، فتذكر حينئذ صاحب السجن، «**يوسف**» – عليه السلام – فقال للملك: إن في السجن، حيث كنت، رجلًا عالمًا بالتأويل، وقد صدق معي في تأويل رؤيا رأيتها، فأرسلني إليك آتيك بالخبر اليقين.

ودخل الساقي على «يوسف» في السجن وقال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 64].

قال «يوسف»:

﴿.. تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 47 – 49]

وعاد الساقي إلى الملك محملًا بما بين له «**يوسف**» فأعجب الملك بالتعليل والتحليل، فطلب أن يؤتى إليه بـ «**يوسف**» ويفرج عنه.

* ما بال النسوة؟!!!

لكن «**يوسف**» – عليه السلام – لم يرض بالخروج من السجن على هذه الصورة بل لابد من ظهور البراءة ونقاء الصفحة وطهارة السمعة، فقال للرسول الذي أتاه في سجنه: عد إلى الملك، وليسأل:

﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ..﴾ [يوسف: 50].

وفتح الملك ملف التحقيق من جديد – كما يقولون –، استدعى إليه النسوة، وسألهن عن شأنهن وشأن امرأة العزيز، وشأن «**يوسف**»..

﴿.. قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ..﴾

﴿.. قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: 51].

* إنك اليوم لدينا مكين أمين:

عندئذ أمر الملك بإحضار «**يوسف**»، واستخلصه لنفسه، وقال له: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:54]. وطلب «**يوسف**» – عليه السلام – من الملك ان يجعله قيما أمينا على «**صوامع**» الحبوب وخزائن الغلات، من القمح وغيره، لتتدبر أمر السنوات القادمة، ما ينتظر فيها من جدب وقحط.

وهكذا – يا بني العزيز – خرج «**يوسف**» – عليه السلام – من سلسلة المحن التى تعرض لها نفيًا صافيًا، تقيًا صالحًا، ذا مكانة ورفعة، بفضل وتدبير من الله عز وجل.

* إخوة يوسف في مصر يمتارون [1]:

وأرسل «**يعقوب**» – عليه السلام – أولاده إلى مصر طلبا للغذاء، بعد ان قل وندر في أرض فلسطين.

فلما دخلوا على «**يوسف**» وهو يؤدي واجبه وعمله في إغاثة الناس وتوفير الحبوب لهم، عرف إخوته، ولكنه لم يعرفهم بنفسه ولم يعرفوه هم، لأنهم حين

(1) يمتارون: أي يطلبون الميرة، وهي الطعام من الحبوب.

ألفوه في غيابة الجب كان صغيرًا، وكان هذًا اخر عهدهم به، ومضى على ذلك سنوات طوال.

وقدم لهم يوسف ما جاؤوا من أجله، وارفى لهم وزاد، ثم قال لهم: ﴿..ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف: 59 – 60].

قال ذلك: وهو في حين بالغ وشوق شديد إلى أخيه من أمه «**بنيامين**»، ويريد أن يجعله عنده خوفا عليه منهم، فقد يؤذونه يومًا كما آذوا «**يوسف**» من قبل.

* بينهم وبين أبيهم يعقوب – عليه السلام –:

وكان «**يوسف**» – عليه السلام – بعد أن أعطاهم ما جاءهم من أجله، قد جعل الثمن الذي دفعوه، والمال الذي بذلوه، ضمن أكياس القمح، خفية من غير أن يشعروا.

فلما وصلوا إلى ديارهم، دخلوا على أبيهم، حدثوه على أبيهم، حدثوه بما جرى لهم، وكيف أن القيم على خزائن الغلال قد طلب منهم إحضار اخيهم «**بنيامين**» في الرحلة القادمة، إن أرادوا ميرة جديدة وإلا فإنه لا يكيل لهم ولا يعطيهم.

فقال «**يعقوب**» – عليه السلام –: ﴿..هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ..﴾ [يوسف:64].

وظل في تردده.. وخشيته، ثم أضاف:

﴿.. فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:64].

وكانه – عليه السلام – قد بدأ يلين للموقف، ويقتنع بعد التردد، متوكلا على الله تعالى. ومما زاده قناعة ورضوخا، ما حدث بعد ذلك.

* بضاعتنا ردت إلينا:

فتح الأبناء أكياس القمح ليفرغوها في مخازنها، فوجدوا ما لهم كما هو، لم ينقص درهما، فقالوا لأبيهم: ﴿..مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ..﴾ [يوسف:65].

لكن «**يعقوب**» – عليه السلام – اخذ عليهم موثقًا وعهدًا في المحافظة على «**بنيامين**»، والعودة به سالمًا، إلا أن يقعوا في أمر أكبر من طاقتهم وقدرتهم. قال لهم «**يعقوب**» –عليه السلام –: ﴿.. لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ..﴾ [يوسف:66].

فأعطوه العهد والموثق، وعندئذ قال: ﴿.. ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾.

وأوصاهم «**يعقوب**» – عليه السلام – ألا يدخلوا مصر من باب واحد، بل يدخلوا من أبواب متفرقة، حتى لا تأخذهم عيون الحساد فتضربهم وتؤذيهم، لكثرتهم، وأخوتهم، فقد كانوا أحد عشر.

* يوسف وبنيامين:

ودخلوا على «**يوسف**» في رحلتهم الثانية، ومعهم أخوهم الصغير «**بنيامين**»..

وما كاد «**يوسف**» يراه حتى هاجه الحنين والشوق، فآواه إليه في عزلة عن أعين القوم، وأخبره أنه أخوه «**يوسف**»، وطلب إليه أن يكتم الخبر، ثم اوسعه ضمًا وتقبيلًا.

وبعد أن جهزهم بجهازهم، وأوفى لهم، كاد لهم، بأن جعل كأسه التي يشرب بها الماء في رحل أخيه، دون ان يدروا، وكان هذا استدراجا لهم، وإيقاعًا بهم..

فلما فصلوا عن المكان الذي هم فيه، وبلغوا ضاحية المدينة أدركهم حراس العزيز «يوسف» وشرطته، ونادوهم أن يتوقفوا فإن أمرا مهما قد حدث.

فقالوا: وما ذلك؟؟

فقيل لهم: إن صواع الملك – إناءه – قد فقد.. فقالوا: ﴿.. تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾ [يوسف: 73]، فقال لهم الحرس: لابد من البحث والتفتيش في رحالكم، وقبل ذلك نسألكم: ما جزاء من نجد الصواع في رحله.

قالوا: جزاؤه ما يعلمون في القانون والنظام.

(كان العرف السائد آنذاك أن يؤسر السارق و يوضع في خدمة المسروق منه).

وأخذ الحرس ينقبون في الرحال، وقد بدءوا برحال الإخوة قبل رحل «**بنيامين**» حتى لا يفلتوا النظر.. وأخيرا وجدوا الصواع، وكان في رحل «بنيامين».

وحاول الإخوة أن يستعطفوا «**يوسف**»، ويسترضوه فيستبدل أحدهم مكان «بنيامين»، لرحمة بأبيه الشيخ الكبير. فقال: ﴿..مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: 79].

وتناجوا بينهم ماذا يفعلون، فقال كبيرهم «**راؤبين**»:

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يوسف: 80 - 81].

فإن لم يصدقكم فيما قلتم فاطلبوا إليه أن يسأل أهل البلدة التي كنا فيها.. ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:82]، وأقسموا على صدقكم في روايتكم.

* فصبر جميل:

وحدث الأبناء أباهم بالواقعة، وأقسموا أغلظ الإيمان، واستشهدوا الشهود.. لكن «**يعقوب**» - عليه السلام - ازداد ألما على ألم، وحزنًا على حزن، وقال: ﴿.. بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ..﴾ [يوسف:83].

واشتد بكاؤه، وتفتقت ذكريات أساه على «**يوسف**»، وأخذ يذكره من جديد في لوعة وحسرة..

فقال له أهله وأقرباؤه وأحباؤه: ﴿.. تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: 85].

يريدون أن يخففوا عنه أحزانه وآلامه، ويحذروه من مغبة ما هو فيه.. فقال لهم: ﴿..إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86].

﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾

وعاد الإخوة إلى «مصر» في رحلتهم الثالثة بناءً على طلب من أبيهم إذ قال لهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

وكانوا أيضًا في رحلتهم هذه يطلبون الميرة أيضًا..

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88].

عندئذ وقد رأى «**يوسف**» – عليه السلام – ما هم عليه من المسكنة وسوء الحال، والضعف والهوان، وقد أخذته الشفقة، وبلغ ما يريده من تقويم سلوكهم وانحرافهم، قال لهم: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾؟؟؟!!

وادرك الأخوة أنهم أمام «يوسف» فقالوا: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾.

﴿.. قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ واعترفوا بذنوبهم، وتقصيرهم وجهلهم..فقال لهم: ﴿..لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾. لا إثم ولا ذنب ولا خوف.

﴿..يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾. وسألهم عن أبيه، فاخبروه بسوء حاله، وما هو فيه من الضنى والضنك، من الهم والحزن والبكاء..

فرق «**يوسف**» – عليه السلام – رقة شديدة، ثم قال لهم: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف:93].

* إني لأجد ريح يوسف:

هذا ما قاله سيدنا «**يعقوب**» – عليه السلام – حين تحركت القافلة التي فيها الأبناء من مصر، في طريق العودة إلى فلسطين.. من بعيد بعيد، شم «**يعقوب**» – عليه السلام – ريح قميص «**يوسف**» فقال ما قال.

فقال له من حوله من الأهل معاتبين:

﴿.. تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:95]. وكأنهم يقولون: لقد ابتلع الزمن «**يوسف**» إذ مضى على اختفائه سنوات طوال، وأصبح في طي النسيان، وأنت ما تفتأ تذكره، إن هذا إلا ضلال، وتعلق بالوهم.

لكن.. وصلت القافلة، ودخل الأبناء على أبيهم، وألقوا قميص «**يوسف**» على وجه «**يعقوب**» فتشممه، وغسله بدموعه، دموع الفرح والحبور..

وزالت الغشاوة عن عينيه، فارتد بصيرًا، ثم التفت إلى من حوله أولئك الذين كانوا يعاتبونه ثم قال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [يوسف: 96]. واستغفر الأبناء من أبيهم بعد أن حصحص الحق، وظهر ما كانوا عليه من باطل وجهل، فقال لهم: ﴿.. سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾. فهم الذي يغفر لا أنا ﴿.. إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ [يوسف: 89].

* اجتماع الشمل:

وعلى جناح السرعة حمل «**يعقوب**» أهله وبنيه، وارتحل إلى مصر، يسبقه شوقه إلى «**يوسف**»..

واجتمع شمل الأسرة بعد تشتت وضياع، وحزن وآلام، وخر الإخوة والأب والخالة بين يدي «**يوسف**» كأنهم يسجدون.

فقال «**يوسف**» لأبيه: ﴿.. يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف: 100].

ثم رفع أبويه على العرش.. على الكرسي الذي كان يجلس عليه، وحوله الشرط والحرس. زيادة في التكريم.

وطلب «**يوسف**» من الملك ان يأذن لأهله وعشيرته ان يقيموا في مصر، فأذن لهم واختاروا منطقة «**الشرقية**»، وهناك ضربوا خيامهم، وسرحوا ماشيتهم، واستوطنوا.

«أيوب» و«ذو الكفل» – عليهما السلام –

﴿.. إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:44]

﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص:48]

* «أيوب» حفيد «إسحاق» – عليهما السلام –:

حين حدثتك يا بني العزيز – عن سيدنا «**إسحاق**» – عليه السلام – ذكرت لك أنه ولد له توأم هما: «**عيسو**»[1] و«يعقوب» – إسرائيل – عبد الله –، وأن النبوة كانت في «**يعقوب**» – عليه السلام –، في أولاد «**إسحاق**».

أما سيدنا «**أيوب**» – عليه السلام – فينتهي نسبه إلى جده «**عيسو**».

* زواجه من ابنة «لوط» – عليه السلام –

عندما كبر «**أيوب**» وشب وتزوج من إحدى بنات سيدنا «**لوط**» – عليه السلام – وكان شابا يافعا، نشطًا قوي البنية، يعمل في الزراعة ورعاية الماشية، موفقًا في عمله مخلصًا في طاعته لربه.

إلى «**حوران**» من أرض «**الشام**»:

كثرت مواشي «**أيوب**» – عليه السلام – فضاقت بها الأرض حيث كان يقيم في «**فلسطين**»، فساقها، واحتمل اهله واتجه بهم شمالًا، فلمّا أتى منطقة «**حوران**» من أرض «**الشام**» وجدها سهولًا فسيحة..قد نزل بها مطر السماء..فأهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ من الحبوب والأعشاب، فأقام هناك واستقر.

(1) ويقال له: (العيص).

* الغنى والخير العميم:

وازداد «**أيوب**» – عليه السلام – غنى إلى غنى، وكثرت أمواله، وكان في كل ذلك ذاكرًا لأنعم الله عليه، داعيًا من حوله من الناس إلى الالتزام بطاعة الله وعبادته والتوكل عليه..

* أول الابتلاء والاختبار

لقد ابتلى «**أيوب**» بالعطاء الوفير كان عنده أندران كبير[1] أحدهما للقمح والآخر للشعير، قد ضاقا بما خزن فيهما، فلم يطغه المال، بل كان شاكرًا حامدًا، معترفًا بما تفضل عليه وأنعم. ثم أراد سبحانه وتعالى أن يبتليه بالفقر فهل يصبر؟؟

بدأ القحط والجدب يتسلل إلى الأرض، فجفت تربتها ويبست زروعها، وباع «أيوب» ما كان عنده لينفق على أهله وعياله وعلى الفقراء والمحتاجين من المؤمنين الذين اتبعوه حتى افتقرت يداه، ولم يبق عنده شيء فكان صابرًا محتسبًا لا يتأفف ولا يتضجر ولا يتفوه إلا بكلمة الحمد والشكر.

* الابتلاء في البدن:

ثم ابتلاه الله في بدنه، فأسقمه وأوجعه وأنزل به الأمراض والعلل.. فعجز عن القيام والحركة. ونحل عوده، وأصبح كما نادى ربه بقوله: ﴿.. أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ..﴾ [الأنبياء:83].

وظلت امرأته..ابنة سيدنا «**لوط**» – عليه السلام – على وفائها فكانت لا تنفك عن خدمته ورعايته، حتى إنها لتساعده في القيام لقضاء حاجته.

وكانت – أيضا – تسعى في خدمة الناس، وتنفق الأجر عليه، لا تبخسه حقه كزوج له عليها حق الرعاية.

* اركض برجلك:

قضى «**أيوب**» – عليه السلام – في ابتلائه سنين عددًا، فصبر – كما قدمنا على قضاء الله و قدره..وفي ذات يوم بينما كانت زوجته في غيبة عنه، تؤدي عملًا في أحدى البيوت..

(1) مفرده: أندر، وهو مخزن الغلال.

و«**أيوب**» – عليه السلام – في وحدته مع آلامه إذا برحمة الله تتنزل عليه ولم تتوقف يومًا عنه أبدًا لقد أعطى الكثير من قبل فشكر، ثم ابتلى أشد البلاء فصبر.

جاءه النداء من السماء يقول ﴿.. إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44]، ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42] وإذا بماء نمير غزير، صاف كأنه اللجين يجري متدفقًا تحت قدميه فشرب منه «**أيوب**» – عليه السلام. وغسل وجهه وأطرافه فاستعاد نضارته وعافيته، بل أحسن وأفضل مما كان قبلًا..﴿.. رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص:43].

* اضرب به.. ولا تحنث:

عادت زوجته فأنكرته ولم تعرفه، فسألته عنه هل تعلم يا رجل عن «**أيوب**» شيئا؟ لقد كان هناك من قبل، مطروحا سقيمًا ولا يقوي على الحركة!!

فأنبأها «**أيوب**» – عليه السلام – أنه هو، إذ عافاه الله تعالى مما كان به من بلاء، وشفاه من سقمه، ثم سألها عن ضفيرتيها أين هما؟ فحاولت ان تستر عما فعلت بهما إذ باعتهما لتنفق عليه، فحلف بعد أن عرف الحقيقة أن يضربها مائة سوط؛ لأنها فرطت بشعرها، فأوحى الله تعالى إليه، تخفيفًا عليه، ان يمسها بضربة واحدة بعذقين من عيدان البلح وفاءً للقسم. ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ..﴾ [ص:44].

وعوضه الله تعالى عن كل ما فقد وخسر، وجزاه بما صبر نعم الجزاء، فأتاه كثيرًا من المال، والماشية، والحب، وأخلفه فضلًا وبركة.

قال رسولنا الأكرم ﷺ: [**بينما «أيوب» يغتسل عريانًا خر عليه رجل جراد من ذهب. فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربه عز وجل: يا «يوب» ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يارب، ولكن لا غنى بي عن بركتك**] [1].

وعاد «أيوب» – عليه السلام – سيرته الأولى في الناس يصل المحرومين، ويعطي الفقراء والمساكين، ويمد يده للمحتاجين ويدعو إلى الله تعالى على بصيره.

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده (2/ 314).

* «ذو الكفل» – عليه السلام –:

يروى أنه لما كبر النبي «**اليسع**» –عليه السلام –، وتقدم به العمر، وأحسن بدنو الأجل، ألهمه الله تعالى، وأوحى إليه أن تخير من الناس من يستطيع أن يقوم بمراعاة عقائدهم ويحفظهم من الانحراف نحو الوثنية وعبادة الأصنام، وأن يقسط فيه بالعدل والحق.

وقد اتبع «**اليسع**» – عليه السلام – طريقة في الاختيار جديرة بالتأمل..إذ جمع الناس وسألهم:

من يتقبل مني بثلاث أستخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب**!!**

فقام من بينهم رجل غير مشهور ولا معروف، من العامة،

فقال: أنا..

فسأله: أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟؟

فقال: نعم

فسكت عنه في يومه ذاك ن دون ان يجيبه.. لا بالموافقة ولا بالرفض.

ثم جمعهم في اليوم التالي، وكرر نفس السؤال ونفس الشروط، فقام نفس الرجل وقال: أنا... فاستخلفه.

* تجربة الشيطان:

وأراد الشيطان «**إبليس**» أن يفشل هذا الأمر، شأنه في عداوته لبني آدم، فجند جنده من الاهواء والشهوات وحب الدنيا يجتمعون على هذا الرجل ليضلوه، ويصرفوه ويوقعوا به، لكنه باستعصامه بالله تعالى كان أقوى وأقدر.

فقال «**إبليس**» – عليه اللعنة – جاء صاحبنا في صورة شيخ كبير، طاعن في السن فقير مسكين، عليه سيماء الصلاح والتقوى..

جاءه في وقت القيلولة، وهي فترة ما بعد الظهر يرقد فيها صاحبنا ليأخذ قسط من الراحة ن لأنه كان يقوم الليل بكامله متعبدًا مصليًا داعيًا..

وقرع «**إبليس**» على صاحبنا باب داره، فقام فقال: من هذا؟فقال: شيخ كبير مظلوم..

ففتح الباب، وسألته ظلامته فقال: إن بيني وبين بعض الناس خصومة في حق هو لي..، وقد ظلموني في هذا الحق، وغصبوه مني، فأرجو أن تأخذ بيدي وتنصفني منهم..

فقال صاحبنا، بعد أن طال عليه «**إبليس**» في عرض شكواه وأذهب فترة قيلولته:

ائتني غدًا في مجلسي حين أنظر في أمور الناس فإني آخذ لك حقك إن شاء الله.

وفي اليوم التالي، جلس صاحبنا بين الناس من أصحاب المصالح، يقضي بينهم، وينظر هل فيهم الشيخ الكبير صاحب شكوى الأمس!! فلم يره..

وبعد أن عاد إلى داره، وقد حل وقت قيلولته ومضجعه، وتمدد ليقضي فترة راحته، جاءه «**إبليس**» فدق الباب...،فقام صاحبنا إليه...فإذا هو...فقال له:

ألم أقل لك أن تأتني في مجلس لأقضي لك بعد أن أنظر في أمرك!! ما الذي غيبك عني؟!!

فقال «**إبليس**»:

إن خصومي من أخبث الناس وأدهاهم، فإن عرفوا أني سأقاضيهم إليك قالوا: نعطيك حقك.. ويماطلوني في الوقت حتى تتقضى فترة جلوسك، ثم يمنعوني بعد ذلك!

وفاتت على صاحبنا فترة قيلولته كما بالأمس، ولم يأخذ قسطه من الراحة.

وإنما كان «**إبليس**» يفعل ذلك ليحرك فيه سورة الغضب، ويخرجه عن طوره واعتداله واتزانه.

فقال صاحبنا لـ»إبليس»:

-إذا ما جلست صباح الغد للنظر في الأمور فائتني..

وتكرر غياب «**إبليس**» عن مجاس صاحبنا – أيضًا – في اليوم التالي.

ولما عاد إلى بيته قال لبعض أهله:

لا تدعن أحدًا يقرب بابي حتى أنام فإني قد شق على النوم يومين اثنين..

وجاءه «**إبليس**» ودق الباب، فمنعوه من الدخول والسؤال، ثم أبعدوه، وحاول أن يقنعهم بحاجته وضرورته، فلم يستجيبوا له..

ودار اللعين حول الدار حتى إذا ما وجد كوة – ثغرة – تسلق منها ثم هبط، فإذا هو في صحن البيت، لم يره أحد، ثم اقترب من الغرفة التي يرقد فيها صاحبنا وقرع بابها، فقام صاحبنا من رقدته ففتح وفوجيء بالرجل أمامه، فنادى على أهله من غير ثورة ولا غضب، يؤنبهم ويلومهم على فتح الباب، فقالوا له: أما نحن فلم نفتح الباب فلننظر من أين دخل؟

ففتش صاحبنا هنا وهناك حتى وصل إلى تلك الكوة – الثغرة – فأدرك من اين أتى، وعرف في الشيخ المزيف أنه «إبليس» – اللعين –؛ فقال له: أنت عدو الله وعدو خلقه وعباده، قاتلك الله!!

قال «**إبليس**»:

نعم أنا هو، لقد أعييتني، وارهقتني لإغضابك وإخراجك عن حلمك، ونقض عهدك ووعدك، فلم أفلح...

وسمى الله تعالى صاحبنا «**ذا الكفل**»، لأنه تكفل بأمر فوفى به.

وقام «**ذوالكفل**» – عليه السلام – بامر الناس وشانهم خير قيام، ما قدر الله تعالى له أن يقوم.

❊ ❊ ❊

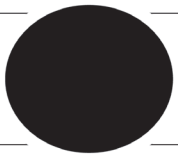

«ذو النون» «يونس بن متى» -عليه السلام-

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات «139]

وجاء في «**صحيح البخاري**» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

* في نينوي:

«**نينوي**» بلدة في شمال العراق، تقع فريبًا من «**الموصل**»، كانت مهدًا لرسالة «**يونس بن متى**» - عليه السلام -.

وأنت تلاحظ - يا بني العزيز - أن المجال الجغرافي السكاني لعمل الأنبياء المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كان ينحصر ما بين أقصى « **العراق**» حتى «**مصر**» مرورًا بالشام كلها وشبه الجزيرة العربية.

* نبوة يونس ورسالته:

ففي «**نينوي**» كان قوم «**يونس**» - عليه السلام - قد مزقتهم تيارات الإلحاد والإشراك بالله عز وجل، وقامت فيهم مظالم، وانتشر فيهم الفساد والفجور، وكانوا يزيدون قليلًا على مائة ألف من الخلق. فبعث الله تعالى فيهم نبيه ورسوله «**يونس بن متى**» ويسمى أحيانًا «**ذا النون**»، كما ورد في القرآن الكريم.

وكان شابًا تقيًا صالحًا..فاختاره سبحانه لهداية لقوم، وإصلاح ما فسد فيهم من العقول والقلوب، وتقويم ما أعوج من السلوك.

* الرفض:

لكن القوم بما جبلوا عليه من الشرك الذي تغلغل إلى أعماقهم، وعشش وأفرخ في ذواتهم ونفوسهم أبوا أن يستجيبوا، ورفضوا أن يبدلوا ما هم عليه..وأصروا واستكبروا.

* اليأس والفرار:

ويبدوأ أن سيدنا «**يونس**» – عليه السلام – قد يئس من هدايتهم، بعد أن أمضى فيهم وبينهم فترة زمنية طويلة. عانى من خلالها كثيرًا من المتاعب والمصاعب، فضجر منهم وأنذرهم بعذاب يقع بهم بعد ثلاثة أيام، من الله تعالى، يقضي عليهم، ويؤاخذهم بما كانوا يفعلون.

ثم تركهم مغاضبًا ورحل عنهم بعيدًا، باتجاه البحر عند الخليج، على شط العرب.

* في الفلك:

وركب – عليه السلام– سفينة توشك أن تغادر الشاطىء، مبحرًا إلى حيث تتجه به، لا يعلم جهة يقصدها، أو مكانًا يذهب إليه.

فلما كانت السفينة في عرض البحر، في إحدى الليالي، هبت عليها ريح عاصفة، فمزقت أشرعتها، وراح الموج العالي يتلاعب بها، وأضحت كريشة في مهب الريح، ليس لها قرار أو استقرار.

* فساهم فكان من المدحضين:

كان ركاب السفينة عددًا كبيًرا، أكثر من طاقتها وحمولتها وقدرتها، فاقترح الربان على الناس أن يخففوا الحمولة، ويقترعوا بينهم على إلقاء من تقع عليه القرعة في البحر، وبهذا ينجو العدد الاكبر! وتنجو السفينة من الغرق. ففعلوا.

فكان نصيب «**يونس**» – عليه السلام – في أكثر من مرة، أن وقعت عليه القرعة وأخيرًا..ألقى بنفسه...فالتقمه حوت ضخم من حيتان البحر، رحمة به من عند الله تعالى، حتى لا يكون من الغارقين.

* توبة القرية «نينوي»:

يقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98].

فعندما خرج «**يونس**» – عليه السلام– من بين القوم، وقد أنذرهم بعذاب من عند الله يأتيهم بعد ثلاثة أيام، تحققوا من ذلك بظهور بوادر العذاب، أو باستيقاظ

ضمائرهم التي ران عليها خداع «**إبليس**» وضلاله، وقذف الله تعالى في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم.

فلبسوا المسوح - ثياب المعذرة والمسكنة والذلة - وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم ضجوا إلى الله تعالى بالدعاء والرجاء وصرخوا وتضرعوا وتمسكنوا، وبكى الرجال والنساء، والبنون والبنات والأمهات، وحتى جأرت الأنعام بالشكوى وكذلك الدواب والمواشى.

وكانت ساعات عظيمة هائلة فكشف الله عنهم بحوله وقوته، ورأفته ورحمته، العذاب، الذي كان قاب قوسين أو أدنى منهم، وقبل توبتهم.

* في بطن الحوت:

لقد أمر الله تعالى الحوت الذي ابتلع «**يونس**»، عليه السلام - ألا يأكل له لحمًا، ولا يهشم له عظمًا، لأنه ليس له برزق.

واستقر «**يونس**» - عليه السلام - في بطن الحوت، وظن أولًا أنه قد مات، فحرك أطرافه فتحركت، فإذا هو حيّ، وكان الظلام شديدًا من حوله فراح يسبح الله، فكيف ينساه، وهو حي في بطن الحوت، مازال يرعاه؟! إنه ربه ومولاه.

* فلولا أنه كان من المسبحين:

وقضى «**يونس**» - عليه السلام - أيامًا ولياليَ في بطن الحوت ليس له من عمل إلا التسبيح والذكر والدعاء، والتضرع والرجاء كي ينقذه الله تعالى من هذه الظلمات.

وكان من دعائه - عليه السلام -:

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء 87]. فاستجاب له ربه ونجاه من الغم ومن الكرب العظيم. ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:143-144]

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾:

عند شاطيء رملي قصي، بعيد بعيد، لفظه الحوت من بطنه.

وكان «**يونس**» عليه السلام كالفرخ المولود حديثًا ليس على جلده زغب ولا ريش، وحين تعرض لأشعة الشمس الإلهية أحس بشيء من الألم. وكان لا يقوي على الحركة، لا يستطيع أن يفتح عينيه اللتين تعودتا الظلمة، وأتم الله عليه نعمته، ورحمته، فأنبت عليه شجرة من يقطين، وهو القرع، أوراقها كثيفة وعريضة وناعمة الملمس، فظللته وحجبت عنه حرارة أشعة الشمس.

ثم أكل من ثمارها فاستعاد بعض عافيته وقوته، فشكر ربه وأناب إليه.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88].

موسى وهارون – عليهما السلام –

* بنو إسرائيل من «يوسف» إلى «موسى» – عليهما السلام –

أقام سيدنا «**يعقوب**» – عليه السلام – بأهله وأمواله وماشيته في «الشرقية» من أرض «**مصر**»، بناءً على طلب من «**يوسف**» – عليه السلام – وإذن من «الملك».

وكان عدد أبناء «**يعقوب**» كما علمت اثنى عشر هم «**الأسباط**»؛ ومرت عليهم عشرات السنين وهم في أرض «**مصر**»، ينعمون بخيراتها، وينهلون من نيلها، ويكدسون ثرواتهم، حتى ظهر فيهم أغنى الأغنياء، وأكثر عباد الله مالًا «قارون»..

* بين عدل وظلم:

ومع تعاقب السنين، توارث الحكم في «**مصر**» فراعنة كثر وكانوا جميعهم يعلمون أن «**بني إسرائيل**» قوم طارئون على البلاد وليسوا من أهلها أصلًا، فبدءوا يعاملونهم معاملة الغرباء، ولم يكتفوا بهذا بل اشتد البعض من الفراعنة عليهم وقسوا، وسخروهم في الخدمة من غير أجر، كأنهم الرقيق أو العبيد.

❋ فرعون «موسى»:

حتى كان عهد فرعون «**موسى**» -عليه السلام- وهذا الفرعون كان أقسى وأغلظ من عرفهم كرسي الحكم وعرشه.

كانوا يعتقدون أنهم الحكام الآلهة، فعلى جميع الناس من مختلف المستويات والطبقات أن يذعنوا لهم ويعبدوهم..

ولقد أظهر العرافون والمنجمون أنه سيولد في «**بني إسرائيل**» غلام يسلبه الملك، ويخلص قومه من العسف والجور والطغيان، ويكون هلاك «**فرعون**» على يده!!

فأجفل وفزع، واضطرب وخاف، وأطلق جنده في أنحاء البلاد، يقضون على كل مولود جديد في «بني إسرائيل».

❋ «موسى» من سبط «لاوي»:

«**لاوي**» هو أحد أبناء «**يعقوب**» الاثنى عشر، كانت أم «**موسى**» حاملًا به، وقد قاربت الوضع، فكانت تخشى على مولودها إن كان ذكرًا أن يؤخذ فيقتل..

فأوحى الله تعالى إليها إن هى ولدت ذكرًا ان تضعه في تابوت صغير وتلقيه في اليم في بحر النيل، وطمأنها سبحانه بأن يرده إليها، فلا تخف ولا تحزن.

❋ يلتقطه عدو لي وله:

وفعلت «**أم موسى**» كما أمرها الله وأوحى إليها، فلما وضعت ذكرًا سمته «**موسى**». ووضعته في لفافته في صندوق صغير، وألقته في النيل، وهى في حالة إشفاق وخوف، وطلبت من ابنة لها أن تتبع حاله وماله.

وكانت زوجة «**فرعون**» تتمشى في حديقة القصر، بين وصيفاتها ومرافقيها، فلمحت على صفحة الماء صندوقًا يتقاذفه الموج، حتى حاذى الشاطىء، فأمرت بإحضاره وفتحه، وكانت المفاجأة، طفل صغير يشع وجهه بالنور، وملامحه وقسمات وجهه تفيض بالبسمات، فسرت به وحملته إلى القصر.

* قرة عين لي ولك!!

وأدرك «**فرعون**» أن الطفل قد يكون في «**بني إسرائيل**»، فليقضى عليه كما يقضي على بقية أطفالهم من الذكور.

فقالت «**زوجته**» التي كانت محرومة من الأولاد بنين وبنات ﴿.. قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: 9]

واستشفعت لزوجها الفرعون بهذا الطلب، فقبل على مضض وكراهية، وأذعن لها، وهو لا يدري ما تخبئه له الأيام في المستقبل.

* ﴿قُصِّيهِ﴾:

كانت «**أم موسى**» قد طلبت من أخته ان تتبع آثاره،وقالت لها: ﴿قُصِّيهِ ..﴾ تعرفي على مكانه وسلامته، وذلك بعد أن أصبح فؤاد الأم فارغًا مضرمًا قلقًا.

وتعرفت الأخت على مكانه، وأبلغت أمها، فازدادت مخاوفها خشبة من «**فرعون**» وبطشه على ولدها وحبيبها «**موسى**».

* ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾:

وبحثوا له عن مراضع يرضعنه، وأحضروا له الكثيرات، فرفض أن يأخذ ثدي إحداهن..

فقالت أخته لأهل القصر، وكانت تعمل هناك: ﴿.. هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: 12]، فاستبشروا بقولها ورضوا، وطلبوا إليها ان تفعل على الفور، فأسرعت إلى أمها، وقدماها تستبقانها في الخطو، وكأنها تركض وتجري، وبشرت أمها..

وقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 13].

احتضنته الأم بذراعيها، وألقمته ثديها، فأقبل عليه بشغف ورغبة، وكادت تقبله، واغرورقت عيناها بالدموع، ولكنها استدركت وتنبهت، حتى لا تكشف نفسها وولدها!!!

* ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ :

ومرت سنوات طفولة وشباب سيدنا «**موسى**» – عليه السلام – في قصر «**فرعون**»، تربى هناك في جو من حياة القصور، وعرف مداخلها ومخارجها وخفاياها، وما يجري في أنحائها من أحدث ووقائع.

ولكنه لم يكن لينغمس فيها، لأن الله تعالى يصنعه على عينه ويعدة للنبوة.. للأمر العظيم..

وفي نفس الوقت عرف «**موسى**» أنه ليس ابنا لـ «**فرعون**» وامرأته، وأنه من «**بني إسرائيل**» وعرف أصله أيضا وأمه وإخوته.

* من عمل الشيطان:

في ذات يوم وقد خرج «**موسى**» – عليه السلام – يتمشى في شوارع المدينة، وفي وقت يقل فيه مرور الناس، لقى شخصين يتقاتلان، أحدهما من «**بني إسرائيل**» من شيعته، والآخر من أهل مصر؛ فلما رآه الذي هو من شيعته وكان ضعيفا مغلوبًا استنصره على عدوه، فتحركت العصبية في ذات «**موسى**» فتقدم من المصري ورده عن صاحبه بقبضة يده، وكان «**موسى**» قتى قويا، فأدت ضربته هذه إلى مقتل المصري.

واستشعر – عليه السلام – الندم في نفسه، وقال: ﴿.. قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: 15 – 16].

ثم أضاف – عليه السلام –:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17].

* الهروب:

وفي اليوم التالي خرج – عليه السلام – إلى المدينة أيضًا، ولكنه كان خائفًا يترقب، يخشى أن يؤخذ بما صنع بالامس، وأن يفشى أحد سره هذا.

ولقد صادف أن لقى نفس صاحب الأمس، الإسرائيلي، يشتبك أيضًا في معركة مع شخص آخر، ويستصرخه كذلك ليعينه على عدوه، فعاتبه «**موسى**»،

وقال له ﴿.. إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:18]..، ثم تقدم من المصري يريد أن يرده عن صاحبه الإسرائيلي، لا ليضربه أو ليقتله، فظن الإسرائيلي أنه المقصود، فقال لـ «**موسى**»: هل تريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس، وان تكون جبارًا في الأرض!!

وبهذا القول كشف الإسرائيلي عن سر «**موسى**» فعرف أنه قاتل المصري بالأمس، وأنه سوف يطلب للمحاكمة..

لكن جاءه رجل من أقصى المدينة يسعى ليقول له: يا «**موسى**» إنك في خطر داهم: وإن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك..فاخرج حالًا إني لك من الناصحين.

* إلى أرض «مدين»:

فر «**موسى**» من «**مصر**»؛ ودون ان يودع أهله، واتجه شرقًا، يضرب في الأرض حتى قطع برية «**سيناء**» وبلغ أرض «**مدين**».

وهناك..وجد عند مائها طائفة من الرعاة يسقون ماشيتهم، وفتاتين تقفان بعيدًا فسألهما عن شأنهما فقالتا له بأنهما تنتظران انتهاء الرعاة وفراغهم من سقى ماشيتهم، وأنهما مضطرتان إلى ذلك لأن أباهما شيخ كبير، فهما تقومان بالعمل مكانه..

فرق إليهما «موسى» وتقدم من البئر فأزاح الناس عنها، ثم سقى للفتاتين، ثم تولى إلى الظل ليستريح، واتجه ببصره إلى السماء قائلًا: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24].

* ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ :

وصلت الفتاتان إلى الدار مبكرتين على غير عادتهما، فسألهما أبوهما الشيخ شأنهما، فحكتا له حكاية الرجل الذي سقى لهما، ثم قالت إحداهما لأبيهما:

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: 26].

وقبل ذلك..أمر الشيخ إحدى ابنتيه أن تذهب لتدعو «**موسى**» إلى الضيافة، بعد أن عرف أنه غريب.

فجاءته تمشي بحياء وخفر، وقالت له: إن أبي يدعوك إلى ضيافته ليجزيك عما فعلت.

فقبل «**موسى**» الدعوة، وطلب إليها أن يمشي أمامها لا خلفها، وتدله على الطريق..

وفي الدار حين ضم المجلس الشيخ و«موسى»، وسأله عن حاله وشأنه، أخبره وقص عليه قصته بكاملها، فطمأنه الشيخ وقال له: نجوت من القوم الظالمين.

عندئذ طلبت إحدى الفتاتين من أبيها أن يستأجر لها «**موسى**»، يخفف عنها أعباء الحياة.

وسألها أبوها عن سبب شهادتها له بقوة وأمانة «**موسى**» فأخبرته عن ذوده الرعاة عن الماء، وعن سيرها خلفه – كما طلب – حين دعته إلى الدار.

❋ الزواج:

قال له الشيخ: ﴿..إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: 27].

وقبل «**موسى**» على أن يعمل أخيرًا عند الشيخ ثماني سنوات مقابل ان يزوجه إحدى ابنتيه.

وأقام «**موسى**» في أرض «**مدين**» حتى أتم المدة، ثم استأذن بالرحيل مع أهله والعودة إلى «**مصر**».

❋ النبوة:

في طريق العودة إلى «مصر» وفي أرض «**سيناء**» حط «**موسى**» الرحال ذات ليلة ليستريح هو وأهله.

وكان البرد قارصًا وشديدًا، فلمح عن بعد بصيصًا من نور، فقال لأهله ﴿.. ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾. [القصص: 29].

ثم قصد إلى النار، فرآها تتقد في عُليقة، العليقة لا تشتعل والنار لا تنطفيء، بل تتوهج وتزداد تألقًا!!

﴿.. نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: 30]

ثم سأله الصوت عما في يده، فقال «**موسى**»: هى عصاي، أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي ولي فيها مَارب وأغراض غير ذلك..

فقال الصوت: ألقها يا «**موسى**»، فألقاها فإذا هى تتحول إلى حية، أفعى كبيرة تسعى في الأرض، فخاف «**موسى**»، فقال له الصوت: خذها ولا تخف، فمد يده في حذر إلى الحية وأمسك بطرفها من عند الرأس، فإذا هي في يده عصاه، قد عادت سيرتها الأولى.

ثم طلب إليه الصوت أن يدخل يده في جيب قميصه، ثم يخرجها ففعل، فإذا بيده تشع بالنور من غير سوء أصابها.

ثم قال له الصوت ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: 32].

وصدع «**موسى**» لأمر ربه تعالى الذي شرفه بالنبوة، وطلب أن يشرح له صدره للمهمة، وأن ييسر له أمره، وأن يحل عقدة لسانه حتى لا يتلكأ في بسط الدعوة وبيان الحجة، وأن يجعل له وزيرًا من أهله «**هارون**» أخاه يحمل معه الأعباء.

فأتاه الله تعالى سؤله. ثم بين – عليه السلام – خشيته من بطش «**فرعون**» وطغيانه، فقال له ربه: لا تخف إنني معك أنت وأخيك إنني معك أنت وأخيك «**هارون**» أسمع وأرى، وأحفظكما من كل سوء وشر.

* «موسى» و «هارون»:

وصل «**موسى**» مع أهله إلى «**مصر**»، وقصد بيت أمه، واستقبلوه بالعناق والقبلات والأشواق، بعد استغراب.

وأخبر أخاه «**هارون**» بما كلفه الله تعالى به، وأنه – أى «**هارون**» سيكون بأمر الله سبحانه وتعالى وزيره وعضده في مواجهة «**فرعون**» ودعوته إلى الحق، وإطلاق سراح «**بني إسرائيل**» وفك أسرهم، وتخليصهم من ربقة السخرة والعذاب.

❋ أمام فرعون:

دخل «**موسى**» و«**هارون**» على «**فرعون**»، وقالا له قولًا لينا، ودعياه إلى الله تعالى، رب السماوات والأرض وما فيهن. وكان لهما معه أكثر من لقاء، وأكثر من حوار. قال فرعون: فمن ربكما يا «**موسى**» قال: ربنا الله الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى..

وطلب «**فرعون**» من كبير وزرائه «**هامان**» أن يبني له صرحا عاليًا ليطلع منه على إله «**موسى**» الذي في السموات!!

وذكر «**فرعون**» «**موسى**» – عليه السلام- بتربية عنده وليدًا، كما ذكره بفعلته التي فعلها من قتل المصري!!

وعاند «**فرعون**» وتكبر وتجبر في قبول الحق، ثم طلب إلى موسى أن يأتيه ببينة على صدق دعواه فيما يقول.

فألقى «موسى» عصاه التي كان يحملها، فإذا هى ثعبان مبين، ارتجف لمرآه كل من كان بحضرة فرعون من كبار الوزراء وأفراد الحاشية، ثم التقطها «**موسى**» فعادت في يده عصا..

ثم أدخل في جيبه، وأخرجها، فإذا هى بيضاء للناظرين، قد ملأت المكان ضياءً باهرًا... وشعاعًا ظاهرًا.

لكن « **فرعون**» ظل على طغيانه وكبره، لا يستمع لنداء الحق ولا يستجيب لدعوة الصدق. وصبر عليه « **موسى**» و«**هارون**» لعله يذكر أو يخشى.

❋ «موسى» وسحرة «فرعون»:

وتصور «**فرعون**» بجهله أن الذي فعله «**موسى**» بالعصا، وبيده، إن هو إلا سحر. فدعا جميع السحرة من أقطار المملكة لمباراة ومنافسة تقام بينهم وبين «**موسى**». أن يكون الموعد يوم الزينة، وهو يوم عيد عند الفراعنة القدماء، وأن يحشر الناس في وقت الضحى ليشاهدوا هزيمة «**موسى**» في سحره وكذبه وافترائه.

حضر السحرة وأحضروا معهم حبالهم، وعصيهم، واحتشد الناس في ساحة عامة هي ميدان التنافس. وسأل السحرة «**فرعون**» أن يقربهم منه ويكافأهم إن غلبوا له «**موسى**»، فوافقهم ومناهم بالعطاء الجزيل والمقام الكريم.

قال السحرة لـ«**موسى**»: هل تلقى عصاك أولا، أم نكون نحن أول من يلقى، فقال لهم: بل ألقوا أنتم. فألقوا حبالهم وعصيهم فسحروا أعين الناس، فإذا الثعابين والأفاعي تفح فحيحًا رهيبًا في أرجاء المكان، وخيل لـ«**موسى**» من سحرهم أنها تسعى، فداخلته الرهبة..

فأمره الله تعالى أن يثبت ولا يضطرب، لأنه سيكون الغالب والأعلى، لأنهم إنما صنعوا كيد ساحر وحيلته، ولا يفلح الساحر حيث أتى.

* آمنا برب «هارون» و«موسى»:

وألقى «**موسى**» عليه السلام عصاه، فإذا هى حية تلقف وتبتلع كل الأفاعي التي تسعى في الساحة والميدان، عندئذ خر السحرة ساجدين، وقالوا: آمنا برب «**هارون**» و«**موسى**».

وانتقض «**فرعون**» غضبًا وغيظًا، وهدد السحرة بالقتل والتعذيب، والتمثيل بهم وتصليبهم في جذوع النخل ليكونوا عبرة لكل من يخالفه..فلم يهتموا..أو يتراجعوا، بل سخروا منه وقالوا: إن قضاءك علينا إنما هو في الحياة الدنيا.

وربح «**موسى**» عليه السلام جولته الكبرى على «**فرعون**»، وهزمه بفضل من الله تعالى أمام حشود الناس، هزيمة نكراء؛واستمال إليه الرأى العام.

* الآيات الباهرات:

وكان الله تعالى قد أعلن نبيه «**موسى**» عليه السلام بأنه يؤيده في معركته مع «**فرعون**» بتسع آيات بينات، منها العصا واليد. وقد حل أجل الباقيات.

أصيب الناس في أرض «**مصر**» بآفات متتابعات، على مدى بضع سنين، منها: الجدب والقحط، ونقص الثمرات، ثم الطوفان (فيضان النيل)، ثم أرتال الجراد وأسرابه، والقمل يفري في الاجساد، والضفادع تنق فتؤرق المضاجع، والدم.. رعافًا ينزل من الأنوف. فكانوا بسبب تلك الآفات المهلكات يجأرون ويصرخون،

ويتحيرون فيما يفعلون ليردوا عن أنفسهم غائلة تلك المصائب والدواعي. وحيث إنهم قد رأوا من «**موسى**» عليه السلام يوم الزينة ما بهرهم وشدهم..، كانوا يلجئون إليه ليدعو ربه كي يكشف عنهم هذا البلاء..

وفعل ذلك سيدنا «**موسى**» عليه السلام واستجاب له الله تعالى، إلا أن «آل فرعون» – أهل مصر – ظلوا على ولائهم وللشياطين، يعبدون من دون الله، ويكفرون بآيات العلي القدير ﴿.. قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: 135 – 136].

﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ..﴾

وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم.. واستبد بفرعون طغيانه وكفره، فجمع لديه كبراءه ثم أعلن لهم أن طريق الخلاص من «موسى» الذي يكاد يفسد عليه الناس أجمعين، لا يكون إلا بقتله..﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:26]

﴿ أَنَقْتُلُونَ رَجُلًا ﴾

وكان من آل فرعون، ومن أقربائه.. رجل مؤمن، كما كانت امرأة فرعون نفسها تؤمن أيضًا، ولكنها كانا يكتمان هذا الإيمان ولا يظهرانه مخافة بطش فرعون.. فلما اعلن الطاغية أبه يريد قتل «موسى» والخلاص منه، قال مؤمن آل فرعون، في حضرة الأرهاط من الناس، وعلى الملأ ن ودون وجل وخوف:﴿.. أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28].

* الخروج:

وتولى الرجل المؤمن إلى «**موسى**» يخبره أن فرعون قد اتخذ قراره بقتله، وإبادة «**بني إسرائيل**» كافة. عندئذ أوحى الله تعالى إلى «**موسى**» عليه السلام ان يخرج

ببني اسرائيل من أرض «**مصر**» وعلى عجل فخرجوا بليل، متجهين شرقا نحو البحر الأحمر، إلى سيناء، ومنها إلى أرض المعاد «**فلسطين**» التي خرجوا منها في زمن يعقوب عليه السلام وتبعهم «**فرعون**» وجنوده في أرتال كثيرة، وعدد وسلاح، فلما بلغ «**بنو إسرائيل**» البحر ظنوا أنهم مدركون، فأوحى الله تعالى إلى «**موسى**» عليه السلام ﴿.. ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ..﴾ فضربه فانفلق فرقين ﴿كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63]. كالجبل العالي الضخم، فعبر «**موسى**» ومن معه، حتى إذا كان آخرهم عند البر الثاني، دخل فرعون وجنوده في اليم فانطبق عليهم الماء من كل جانب، وغرقوا جميعا، كذلك جزاء الكافرين.

* في سيناء:

كان «**بنو إسرائيل**» في «**مصر**»، وقد مرت عليهم عشرات السنين، قد ألفوا حياة الاستحذاء والضعف والمهانة، وجبلوا على عادات سيئة، أقلها الجبن والخوف والتردد فكان «**موسى**» عليه السلام كلما دعاهم إلى النهوض ومتابعة المسير إلى «**فلسطين**»، تكاسلوا وتباطئوا. فقد كان في «فلسطين» آنذاك العمالقة، وهم قوم نزحوا إليها من إحد يجزر البحر الأبيض، واستوطنوها...وكانوا أقوياء جبارين، فكان «بنو إسرائيل» يقولون لـ«موسى» عليه السلام ﴿..يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾. [المائدة: 22].

وقالوا أيضًا وقد ملوا دعوة «**موسى**» لهم بالنهوض: ﴿..يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:24].

﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا..﴾

ولم يكن أمر الجبن وحده طابع «**بني إسرائيل**» بل كانوا أيضًا متأثرين بجو الأصنام والأوثان.. ولقد مروا في « **سيناء**» على جماعة من الناس يعبدون الحجارة نحتوها أوثانًا وأصنامًا، فقالوا لـ«**موسى**»: ﴿..ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: 138 – 139]. وذكرهم، وخوفهم عذاب يوم عظيم.

* إكرام الله تعالى لهم..وجحودهم:

لقد أنجاهم الله تعالى من بطش فرعون، ونجاهم من الغرق في اليم، ثم إنه تعالى انزل عليهم المن والسلوى ليأكلوا.. والمن مادة لزجة تعلق على أوراق شجر الطرفاء، حلوة المذاق، مغذية، السلوى: طائر السمان..

ومن أجل ان يشربوا من أرض قاحلة جرداء، قليلة الماء، أمر الله تعالى «**موسى**» عليه السلام ان يضرب صخرًا بعصاه، فتفجرت منه عشرة عينًا، بعدد أسباطهم وفروعهم، فعلم كل فريق مشربهم.

* التيه:

لكنهم رفضوا بجهلهم كل هذا العطاء الإلهى المتميز، وطلبوا ان يستنبتوا الأرض ليخرجوا منها البقول: القثاء والثوم والعدس والبصل.. وغير ذلك.. وقال لهم ربهم سبحانه وتعالى: ﴿.. أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ..﴾ [البقرة:61] عجبًا لكم يا قوم! إزاء ذلك، وبسبب جحودهم ونكرانهم، ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، وحكم عليهم بالتيه والضياع في أرض «**سيناء**» أربعين سنة.. لعل هذا الجيل من الناس يتغير، ويأتي جيل آخر فيه الهمة والعزيمة والاستجابة لأمر الله تعالى.

* ميقات «موسى» -عليه السلام-:

قال الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

كان هذا الميقات والموعد، عند جبل الطور، من أجل ان يتلقى « موسى» عليه السلام التوراة، فيها هدى ونور. وخرج «**موسى**» من بين ظهراني القوم، وصام الأيام كلها استعدادًا للتلقى من الله جل جلاله. فلما كان اليوم المشهود، طلب «موسى» من ربه تعالى بعد أن كلمه تكليما، أن يراه ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فأجابه ربه سبحانه – بأنه لن يستطيع ذلك!! وينظر إلى الجبل القريب منه، فإن استقر في مكانه وهدأ.. كان له ذلك، ونظر «**موسى**» إلى الجبل.. فإذا به يهتز ويضطرب

ثم يتفتت، وينهال أكوامًا من الأتربة ﴿..وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ لما رأى...، مغشيًا عليه ثم أفاق من غشيته، وقال ﴿..سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

* فتنة «السامري»:

كان في قوم «**موسى**» رجل يدعى «**السامري**» وكان جنديًا من جنود الشيطان فلما غاب «**موسى**» عن قومه «**بني إسرائيل**» أربعين ليلة، استغل هذا «**السامري**» فرصة الغياب، واتخذ لبني إسرائيل من الحلى التي استعاروها من المصريين ولم يعيدوها لهم عجلًا من ذهب، فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله، ولم يستطع «**هارون**» عليه السلام أن يمنع تلك الفتنة.

فلما عاد «**موسى**» إلى قومه ورآهم على تلك الحال، أمسك بلحية «**هارون**» غاضبًا معاتبا.. وجره إليه في شدة وقال: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:150] فقال «**هارون**» عليه السلام يا أخي لا تؤاخذني فإن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فتركه «**موسى**» واستغفر ربه، له ولأخيه، ثم دعا على «**السامري**» أن يصاب بمرض يكون عبرة لمن يعتبر، ان يصاب بجلده فلا يطيق أن يمسه احد من الناس، أو الأشياء ثم قضى «**موسى**» على العجل الذي اتخذوه إلهًا، فأحرقه، ثم قذفه في اليم رمادًا متفتتًا.

* بقرة «بني إسرائيل»:

وكان رجل في «**بني إسرائيل**» كثير المال، وشيخًا كبيرًا وله بنو أخ، يتمنون موته ليرثوه، فعمد أحدهم فقتله في الليل، وطرح خشته في الطريق على باب رجل فيهم، ليكون المتهم، وأصبح الناس ورأوا هلاك الرجل، فاختصموا في شأنه، وجاء ابن أخيه القاتل يصرخ ويلطم ويتظلم.. وشكا الأمر إلى «**موسى**» عليه السلام، فقال «**موسى**»: أنشد الله رجلًا عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به فسكتوا جميعًا، وظل الأمر مبهما، فسألوا «**موسى**» أن يسأل ربه تعالى في هذا الشأن، فأوحى الله تعالى إليه بالحل، عندئذ طلب «**موسى**» من القوم أن يذبحوا بقرة!! فتعجبوا ما للبقرة والقتيل!!؟ وأي علاقة بين الأمرين!!؟ وقالوا لـ «**موسى**»:

﴿.. أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ..﴾ ثم راجعوا «**موسى**» في أمر البقرة مرات ومرات في سنها وفي لونها، وفي أشياء كثيرة لأنهم كانوا غير مصدقين ولا مقتنعين، وأخيرًا ذبحوها وما كادوا يفعلون، ثم أمرهم «**موسى**» أن يضربوا جثة القتيل بلسانها، ففعلوا، وكانت المفاجأة!! لقد أحيا الله القتيل.. ودمه ينزف، وأشار إلى ابن أخيه القاتل ثم قال: هذا قاتلي!!!

* موسى – عليه السلام – والعبد الصالح:

كان «**موسى**» عليه السلام ذات يوم يخطب في الناس من «**بني إسرائيل**»، وقد فتح الله عليه، فأفاض في الشرح والبيان، وقد أعجب بنفسه، ثم سأله أحد الحاضرين: من أعلم الناس يا «**موسى**»!؟ فقال: أنا، وكان السؤال فتنة، فاستدرك عليه السلام، وعاتبه ربه سبحانه وتعالى، ثم امره أن يتوجه إلى مجمع «**البحرين**»، وهناك سيجد عبدًا من عباد الله الصالحين أعلم منه..

فقصد «**موسى**» ومعه فتاه «**يوشع بن نون**» إلى ذلك المكان عند البحر الأحمر، وكان معهما في مكتل طعامهما سمكة (وكان فقدان السمكة علامة لقاء العبد الصالح). فأتيا صخرة وقد بلغ منهما الجهد، فناما، واضطربت السمكة في المكتل وخرجت منه إلى البحر..، وكان «**يوشع**» بين النائم واليقظان، وقد لحظ ذلك.. فعجب أشد العجب، وكاد عقله يذهب، ثم استيقظ «**موسى**»، وتابع مع «**يوشع**» سفرهما، ثم أحس بالجوع فطلب من «**يوشع**» إحضار الحوت – السمكة–، عندئذ تذكر «**يوشع**» وتنبه، وأخبر «موسى» الخبر، واعتذر بالنسيان، فارتدا إلى مكان الصخرة.. وهناك لقيا رجلًا شيخًا مهيب المنظر، مسجى في ثوبه، وعرف كل منهما صاحبه فأخبره «موسى» أنه إنما قصده ليتعلم منه، مما علمه الله تعالى، فاشترط عليه الشيخ ألا يسأله عن شيء حتى يتم الدرس، مهما كان الامر عجبًا، فقبل «**موسى**» ورافق مع فتاه الشيخ، العبد الصالح، ومرت بهم سفينة فأشاروا إليها، فتوقفت.. وحملتهم معها، ولم يمض وقت..وقد وصلو إلى مقصدهم..إلا والعبد الصالح يخرق السفينة، فتعجب «**موسى**» كيف أن صاحبها حملهم من غير أجرة، ثم يؤذونه في مورد رزقه؟!! فسأل العبد الصالح مستنكرًا.... فقال له

الشيخ: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا.. وتراجع «موسى» عن السؤال، التزاما بالوعد والعهد.

ونزلوا من السفينة..وقصدوا إحدى القرى، فرأوا جماعة من الغلمان يلهون ويلعبون، فتقدم العبد الصالح من أحدهم وحازه عنهم، ثم قتله..!! فقال «**موسى**» في دهشة وعجب: كيف تقتل نفسًا بغير نفس، ظلمًا وعدوانًا؟!! لقد أتيت أمرًا نكرًا!!

فقال له العبد الصالح مذكرًا للمرة الثانية: ألم أقل لك يا «**موسى**» إنك يا تستطيع معي صبرًا..فاعتذر «**موسى**» وتعهد أنه لن يعود للسؤال بعد ذلك،ثم دخلوا القرية، وكانوا جياعًا فطلبوا من بعض الناس أن يضيفوهم، فأبوا عليهم، ورفضوا، ثم إن العبد الصالح رأى جدارًا لاحد البساتين، يوشك أن يسقط، فشمر عن ساعديه، وانهمك في إقامته وتسويته..وهنا لم يعد «**موسى**» قادرًا على فهم هذه التناقضات، كيف يبخل عليهم أهل القرية بالطعام.. وكيف يسوى لهم هذا الرجل جدارهم، فقال له: لو شئت يا صاحبي ان تأخذ أجرًا على ما فعلت لكان ذلك من حقك..

فقال العبد الصالح: هذا فراق بيني وبينك..لقد أنذرتك وحذرتك، ولكنك لم تسمع يقولي، وعلى الآن أن أبين لك خفايا الأمور التي لم تستطع عليها صبرًا: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 79 – 82].

وعاد «**موسى**» عليه السلام من رحلته تلك، وقد تعلم الشيء الكثير.، وأدرك صدق قول الله تعالى: ﴿.. وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء].

* وفاته – عليه السلام –:

وأدركت الشيخوخة «**موسى**»، ولم ينهض «**بني إسرائيل**» لدخول «فلسطين» أرض المعاد؛ وكان عليه السلام يقصد أرض جبل عال، ويحاول أن يرى الأرض الموعودة، في حسرة وألم، ثم وافاه الأجل المحتوم، وقبضه الله إليه، صلوات الله وسلامه عليه.

«داود» و«سليمان» – عليهما السلام –

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ[1] إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

* من «يوشع بن نون» إلى «داود» – عليه السلام –:

مرت على «**بني إسرائيل**» مدة التية والضياع في أرض «**سيناء**»، وتوفى الله تعالى إليه نبيه «**موسى**» عليه السلام، وقام بالأمر بعده بعد فتاه الذي كان يرافقه ويتعلم منه.. حتى أذن المولى سبحانه لـ«**بني إسرائيل**» بدخول أرض المعاد، وقد تشجعوا لمحاربة أعدائهم العمالقة. واتخذوا من المنطقة الشرقية من أرض «**فلسطين**» – حيث بيت المقدس.

مقاما لهم، ولكنهم كانوا يدخلون في حروب دائمة مع أعدائهم العمالقة الذين كانوا يسكنون الساحل الجنوبي، عند «**غزة**» من أرض فلسطين. وكانوا «**بنو إسرائيل**» يحملون معهم «**التوراة**» في حروبهم، يجعلونها في صندوق كالتابوت، يتباركون بها ويستفتحون، وفي إحدى المرات وقعت بهم الهزيمة، وضاعت منهم «**التورتة**»، ووقعت في أيدي الأعداء.. فارتدوا غلى ديارهم وهم في أقصى حالات الحزن والخيبة.

(1) ذا الأيد: القوى.

* «طالوت»:

مرت عليهم سنوات وهم في حسرة وفزع، ثم جاءوا نبيهم يسألونه أن يعين عليهم ملكًا يستطيع أن ينتزع لهم النصر، ويسترد لهم هيبتهم وتوراتهم. فقال لهم: إن الله اختار لكم «**طالوت**» ملكًا وقائدًا «**طالوت**»!! تعجبوا من ذكر اسمه، وقالوا: كيف يكون له الملك علينا، وليس أوفرنا غنى ولا أكثرنا مالا؟!! فقال لهم: إن الله تعالى قد عوضه عن وفرة المال ببسطة في العلم والجسم، وأن لملكه آية، قالوا: وما هى؟ قال: التوراة تأتيكم بها الملائكة عما قريب.

* «طالوت» و«جالوت»:

وحدثت المعجزة الآية..فإذا بالتوراة محمولة إليهم ذات يوم..ففرحوا ورضوا بملك «**طالوت**». واستعد «**طالوت**» لقتال الأعداء، وجهز جيشًا ضخمًا، وخرج به إلى أرض العماليق.. وفي الطريق أحس الجند بالعطش الشديد، وهم تحت أشعة الشمس تكوي أجسادهم ورءوسهم، وتلهب دروعهم الحديدية التي أثقلتهم، والرمال من تحت أرجلهم كالجمر الموقد..فشكوا العطش إلى «**طالوت**».. فقال لهم: عما قريب نصل إلى نهر جار فإياكم أن تشربوا منه، إلا من اغترف غرفة بيده يبل بها ريقه، فمن شرب منه، فإنه ليس مني..! فلما وردوا ماء النهر المتدفق غر أكثرهم صفاؤ، فشربوا إلا قليلا منهم، هم الذين مكثوا مع «**طالوت**» لقتال العدو.

* «جالوت» و«داود» – عليه السلام –:

وكان «**جالوت**» ملكًا على العماليق، شديد البأس، قوي المراس، يهابه الجميع ويخافونه..فلما عرض بجنده في الميدان، وتحدى الشجعان، لم يبرز إليه من جيش «طالوت» أحد. وكان «داود» عليه السلام غلاما، يرعى الغنم،قد رافق الجيش بطلب من أبيه لينظر ماذا يفعل إخوته الثلاثة، الذين هم في جيش «**طالوت**» وتحفز «**داود**» لأمر قدره الله وقضاه..، وتقدم من الملك «**طالوت**» يطلب إليه أن يسمح له بقتال «**جالوت**»!! فاستضغره.. واستصغر شأنه..ورده أكثر من مرة، ثم سمح له بعد إلحاح..كان «داود» يحمل معه مقلاعًا[1] وبضعة أحجار، هى كل عدته وسلاحه.

(1) نبلة.

لم يخف.. ولم يرهب..لأنه كان واثقًا من ربه تعالى، مؤمنًا به، متوكلًا عليه، فوضع الحجر الأول في المقلاع، ثم لوحه في الهواء وأطاح به..،فوقع الحجر بين عيني «**جالوت**»، في جبهته، وأتبعه بحجر ثان وثالث، حتى قضى على «**جالوت**» الذي سفط أرضًا، ولا حراك به، وضج جمع جيش «**طالوت**» بفرحة النصر، وانفض جيش الأعداء مهزومًا هاربًا.

❋ مكانة «داود»:

عظمت مكانة «**داود**» عند «**طالوت**» وفي نظر معظم الناس أيضًا، فزوجه»طالوت» من ابنته وعينه قائدًا على جيشه، وخاض «**داود**» الحروب والمعارك، فسجل على الأعداء أكثر من نصر..كل الملك..والغنى..والشهرة.. لم تفتن «داود» عن ربه تعالى، فكان أجمل الأوقات عنده أن يخلو بنفسه في البراري والجبال، يمجد الله تعالى ويسبحه، وكان قد أوتي صوتًا رخيمًا، فما يكاد ينشد.. حتى تردد الجبال والأودية معه ألحانه وكلماته، وتدنو منه الحيوانات والطيور.. تمجد بلسانها أيضًا عظمة الخالق.

❋ حقد «طالوت» على «داود»:

ولسبب المكانة التي وصل إليها «داود» عليه السلام حقد عليه «**طالوت**»، وساءت الحال بينهما، وخرج «**داود**» من خدمة «**طالوت**»، وانفرد بنفسه بعيدًا.. وتبعه الكثيرون ينضمون إليه. ثم جهز «**طالوت**» جيشًا لقتال «داود» والخلاص منه، إلا أنه، وفي أحد الأماكن، غلبه النعاس فنام..، وأحاط به «داود» وجنده، وأبعدوا عنه الحرس، ثم اقتطع «داود» قطعة من ثوب «**طالوت**» فاستفاق مذعورًا، فقال له «**داود**»: لو أردت أن أقتلك لفعلت..، ولكنني لا أخفر ذمة ولا أغدر..، فاعتذر «**طالوت**» وعاد إلى «**بيت المقدس**»، بعد أن هادن «**داود**».

❋ مقتل «طالوت» وملك «داود»:

ودخل «**طالوت**» في حرب مع الخصوم العمالقة، وفي إحدى المعارك سقط ميتًا..قتيلًا..، وعاد الجيش منهزمًا. واستقر رأي أهل الشورى على توليية «**داود**»

القيادة، وإعادته إلى المنصب الذي حقق لبني إسرائيل النصر أكثر من مرة، بفضل نت الله ورحمة.

❋ «سليمان» الحكيم:

وتولى «**داود**» الملك، والحكم وفصل الخطاب..، عطاء من الله ونعمة. وفي ذات يوم، وقد كان ابنه «**سليمان**» عليه السلام قد بلغ أوائل العقد الثاني من عمره، دخل على «داود» رجلان مختصمان يريدان أن يقضى بينهما، فقال أحدهما: إن لي بستانًا من شجر العنب قد دخلت فيه أغنام هذا الرجل فأكلته..وخربته، فماذا ترى في أمرنا؟؟ قال «**داود**» نأمر أن تمتلك أغنام الرجل وماشيته تعويضًا لك عما أصابك من الخسارة..فقال «**سليمان**» الفتى: هل يسمح لي أبي برأي؟ أرى أن يستفيد صاحب الكرم من غنم صاحبه حتى يعود الكرم إلى سابق نضارته، ثم يترادان.. فابتسم «**داود**» وسر من حكمة «**سليمان**»، وقال: حقًا يا ولدي أنت «**سليمان**» الحكيم..

❋ الوفاة:

وأدركت الشيخوخة «**داود**»، ثم وافاه الأجل، وقبضه الله إليه، وورثه «سليمان» بالنبوة والحكم والحكمة.

❋ ملك «سليمان» – عليه السلام –:

وزاد «**سليمان**» على أبيه «**داود**» في الملك والسلطان، وبسط ظله وعدله على كثير من بقاع الأرض، وقد تطهرت أرض فلسطين من الجبابرة العمالقة.. وامتد سلطان «**سليمان**» عليه السلام ليس على البشر وحدهم، بل على كثير من خلق الله تعالى.. لقد سخر الله له الجن، وسخر له الريح..وعلمه منطق الطير.. والحيوان عمومًا.. ولقد كان في كل هذا العطاء الوفير الجزيل استجابة من الباري عز وجل لدعاء «**سليمان**» إذ قال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: 35].

وكان عليه السلام في مقابل ذلك شاكرًا لانعم الله، عارفًا بفضله وكرمه، مدركًا أن كل ما أعطى ووهب إن هو إلا ابتلاء واختبار.

* في وادي النمل:

في ذات يوم خرج «**سليمان**» عليه السلام في جيش كثيف لمقاتلة الأعداء..قد ملأ الأرض عددًا..، وضجت من وقع أقدام الخيل أطباق السماء... ومر في واد... عميق...فإذا نملة حشرة صغيرة لا تكاد تبين، تهمس لأخواتها بأن يدخلوا مساكنهم في جوف الأرض حتى لا يحطمهم «**سليمان**» وخنوده.. وحده «**سليمان**» سمعها، وعرف ما تقول، فتبسم ضاحكا، واتجه ببصره إلى السماء شاكرًا.

* هيكل «سليمان» – عليه السلام –:

وإقرارا منه بفضل الله عليه، عزم على إقامة معبد يقدس فيه ربه، ويتوحه إليه بالعبادة والإنابة، لا يضاهيه معبد على الإطلاق، بهاء وحسنًا وعظمة..، فجند له آلاف الفنيين والعمال، وأنفق في سبيله الطائل من الأموال، وصرف زمنا ليس بالقليل ليكون الهيكل آية من آيات الإعجاز في البناء والزخرفة.

* الهدهد، وعرش «بلقيس» وعفريت الجن:

وتفقد «سليمان» عليه السلام الطير والطيور كلها.. ثم قال: ما لي لا أرى الهدهد..، أين هو في غيابه عني، لسوف أعاقبه وأعذبه عند حضوره.. أو لأذبحنه عقابا له على عدم الاستئذان، إلا أن يبين عذرًا مقبولًا.

وجاء الهدهد..، فقال: لقد كنت في بلاد بعيدة، في أرض «**اليمن**»، في «**سبأ**».

وقد جئتك يا مولاي من هناك بنبأ عظيم، لقد وجدت هناك ملكًا واسعًا، وديارًا وحضارة، ووجدت قومًا يعبدون غير الله تعالى، يعبدون الشمس، وتحكمهم امرأة تدعى «**بلقيس**» لها عرش عظيم، لم تقع العيون على مثله أبدا.

فقال «**سليمان**» عليه السلام؛ سوف ننظر فيما تدعى، هل أنت صادق أم كاذب.

ثم أمر بكتابة رسالة إلى «**بلقيس**» ورهطها، يدعوهم فيه إلى الإيمان بالله، وترك ما يعبدون من دونه، وينذرهم إن لم يأتوه مسلمين فلسوف يأتيهم بجيش لا قبل لهم به،ولا طاقة لهم على رده.

وحمل الهدهد الكتاب، وطار به..، ثم أتى ديار القوم، ووقف على نافذة مخدع «**بلقيس**» وألقى بالكتاب على سريرها، فحملت «**بلقيس**» الكتاب، وقد روعت به بعد أن قرأته، ثم جمعت كبار المسئولين عندها، وقالت لهم: لقد ألقى إلى كتاب مرسل من «**سليمان**»..، قد صدره ببسم الله الرحمن الرحيم، يدعونا فيه إلى الإسلام، فأفتوني في هذا الأمر الطارىء، ما كنت لأتخذ قرارًا منفردًا..فقالوا في عزة وإباء، مبعثها الكفر والغرور: إننا أصحاب قوة وبأس، لا نهاب ولا نخشى التهديد..وعلى كل حال فإن الأمر يعود إليك، وأي شيء ترينه مناسبًا نوافقك عليه، ونخلص الطاعة والولاء.

قالت «**بلقيس**»: أيها الملأ، إنني أعرف أن الملوك إذا دخلوا بلدًا فاتحين، جعلوا أعزة أهلها أذلة..، فأخشى ما أخشاه أن ينفذ «**سليمان**» تهديده لنا، وتكون الكارثة علينا.

ما رأيكم لو أرسلنا هدية أوّلا، نختبر بها صدق التهديد والوعيد، لعلها تكون مقبولة عند «سليمان» فيصرف النظر عن غزونا!!!

* ما آتاني الله خير

وصلت الهدية «**سليمان**» عليه السلام وعرضت عليه، فصرف نظره عنها، قام غاضبًا من مجلسه، وقال: ﴿..أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل: 36]

وردها عليهم، وقال لرسول «بلقيس»: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: 37].

* أيكم يأتيني بعرشها؟؟

وأراد «**سليمان**» عليه السلام أن يتبع تهديده لـ«**بلقيس**» وإنذاره بحدث يكون له أشد الوقع على نفسها وعلى شعبها والرهط من قومها، فلا يتكبروا ولا يتجبروا، ويذعنوا لله.. ويسلموا له..فقال لجنده من الجن: أيكم يستطيع أن يأتيني بعرش «**بلقيس**» قبل أن تحضر إلينا ـ فقال عفريت من الجن: أنا يا سيدي آتيك به قبل أن تقوم من مقامك.. وقال الذى عنده علم من الكتاب : أنا يا سيدى آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وينطبق جفنك.

وفي أقل من ثانية، أو من أعشارها، كان العرش بين يدي «سليمان» عليه السلام، فقال: ﴿.. هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ﴾ [النمل:40].

* أهكذا عرشك؟؟!!

وحضرت «**بلقيس**» من «**سبأ**» في «**اليمن**» إلى بيت المقدس في «فلسطين». فاستقبلها «**سليمان**»..ورحب بها، وأكرم نزلها، ثم سألها عن عرشها، وكان قد أمر بتغيير معالمه ليخبرها، فقال: أهكذا عرشك؟! فقالت: كأنه هو..، وقد دل جوابها على زهادة العلم، وتفاهته عندها.

* أسلمت مع «سليمان» لله:

ثم دعاها «**سليمان**» لدخول القصر، فلما قاربت بهوه الواسع، الذي مهدت أرضه، ومدت بالبلور الصافي، فانعكست معالم جنباته على الأرض، فبدت كاللجة..كشفت عن ساقيها خشبة الماء..الذي توهمته..، فقال لها «**سليمان**»: إنه صرح ممرد من قوارير.. وبدأت «**بلقيس**» تراجع نفسها، لقد وقعت في أكثر من مأزق كشف عن جهالتها أمام علم «**سليمان**»، وعن ضعفها أمام قوته، وتفاهتها أمام سلطانه.

وأدركت أن كل ذلك من عند الله تعالى، قد أوتيه «**سليمان**» من فضل الله، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: 44].

* وفاة «سليمان» – عليه السلام –:

بعد أن حكم عليه السلام أمدا طويلا، وتنفذ نفوذًا عظيمًا، وشاد ملكًا واسعًا، طاف به ملك الموت..، وكان جالسًا على كرسي حكمه، وعز من سلطانه، فقبض روحه، وظن كثير من الناس والجن أنه في جلسته هذه إنما هو حي، ولم يقتربوا منه لهيبته..

ثم ما لبثت الأرضة[1] أن أكلت أسفل عصاه التي يتكىء عليها، فهوى..، وتيقن الناس والجن موته.

(1) حشرة صغيرة كالسوس تنخر في الأشياء حتى تبيدها.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾

[الأنبياء: 89 - 90].

﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:45].

* بني العزيز:

تتداخل قصة حياة أنبياء الله تعالى «**زكريا**» و«**يحيى**» و«**عيسى**» - عليهم السلام - في منظومة تاريخية وزمنية واحدة، تربطها أيضا عقدة الموضوع، بحيث لا تنفك حياة الواحد عن الآخر..فلقد كان «**زكريا**» عليه السلام يكفل «**مريم**» البتول، أم «**عيسى**» عليه السلام، وكان «**يحيى**» بن «**زكريا**» يحمل رسالة البشير بمجيء «**عيسى**»، نبيا هاديًا وداعيًا وإليك القصة:

* شيخوخة «زكريا» ودعاؤه..

كان «زكريا» عليه السلام زوجا لخالة «**مريم**»، وكانت أم «**مريم**» زوجة لرجل يدعى «**عمران**» من كرام أحبار «**بني إسرائيل**»، وبعد يأس طويل حملت أم «**مريم**» فنذرت أن يكون ما في بطنها محررًا خالصًا لخدمة الهيكل.. وتوفى «**عمران**» و«**مريم**» لا تزال جنينا في بطن أمها، فلما وضعتها، قالت متحسرة: إني قد وضعتها

أنثى.. وكنت أتمنى ذكرًا يخدم بيت الله..فأجيبت بأن ربها قد تقبلها بقبول حسن، وسوف ينبتها نباتًا حسنًا.

* وكفلها «زكريا»:

من هنا..، جاءت كفالة «**زكريا**» عليه السلام لـ«**مريم**»، فتعهدها وأحني عليها، فلما كبرت قليلًا التحقت بخدمة الهيكل، تصرف معظم وقتها في الطاعة والعبادة، لا تعرف إلا القليل من شئون الناس ودنياهم.

* أنى لك هذا؟

وكان «**زكريا**» عليه السلام يأتيها بين الحين والحين إلى الهيكل زائرًا متفقدًا... وكلما دخل عليها المحراب وجدها في عبادة وخشوع، وصلاة وذكر ودعاء، ووجد عندها رزقًا.. طعامًا وفاكهة، فكان يسألها عمن يأتيها به، فتقول: هو من عند الله. إن الله كريم عظيم.. يرزق منيشاء من عباده ومخلوقاته بغير حساب.

* هنالك دعا «زكريا» ربه:

في المحراب.. وأمام عطاء الله ورزقه الذي لا ينفد، واستجابته للطائعين من عباده المخلصين..هنالك دعا «زكريا» ربه سبحانه دعاءً خفيًا، بينه وبين نفسه، كأنه الأمنية. فقال: ﴿..رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:4].

وبعد أن وصف كبره وشيخوخته وضعفه وصدق رجائه لله تعالى، طلب إليه سبحانه أن يرزقه بغلام..، ذاكرًا ان امرأته عاقر لا تلد، وأنه يخشى ضياع الذرية وفقدانها، وليكون هذا الغلام وارثًا لِـ«**آل يعقوب**»، وأن يكون رضيًا في سلوكه وأخلاقه وسمعته بين الناس..

* إنا نبشرك:

وفي موقفه هذا، تلقى الاستجابة، وجاءته البشرى من الله تعالى، بان امرأته سوف تكون صالحة للإنجاب والولادة، وأنها سوف تلد غلامًا يسمونه «**يحيى**»، ولم يعهد اسمه في تاريخ النوع الإنساني من قبل..

ولما فوجئ «**زكريا**» عليه السلام بذلك..، وقد كان يظن ان دعوة ربه لا تخرج عن حدود الأماني، قال: ﴿.. رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 9].

وجاءه الجواب على الفور أيضًا، يذكره بما نسى من امر الله وقدرته، فقال تعالى: .. كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 9].

فطلب «زكريا» عليه السلام من ربه ان تكون له آية وعلامة، على صدق الظن، فقال له ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: 10]. فخرج «**زكريا**» من المحراب.. ومن الهيكل، وقد ملات الفرحة قلبه ودعا الناس إلى تقديس الله وتسبيحه آناء الليل وأطراف النهار، وبكرة وعشيًا.

* «يحيى» – عليه السلام –:

وحملت زوج «**زكريا**» ثم وضعت «**يحيى**» وجاءت البشرى من الله تعالى بنبوة «**يحيى**» وهو لا يزال رضيعًا في المهد، طفلا صغيرًا..﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 12 – 15].

وقرت عيون الوالدين به، وشكرا ربهما على واسع فضله وعطائه، ثم اختطفت يد المنون «زكريا» عليه السلام بعد ان عاش الأيام والأعوام.

❋ حمل «مريم»:

هلا ذكرت يا بني العزيز بماذا أجاب الله تعالى نبيه «**زكريا**» عليه السلام حين تعجب من البشرى بحمل امرأته بـ «**يحيى**»، لقد قال سبحانه: ﴿..كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 9]، وعلى هذا المنوال، وبأمر من الله تعالى، وتدبير منه، كان حمل «**مريم**» بـ«**عيسى**». كانت قد بلغت أقصى حالات الصفاء والطهارة، فاصطفاها الله سبحانه لتكون آية للناس آدمي، فاجفلت وخافت، وقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18]. ماذا تريد وماذا تبغي؟ فطمأنها وهدأ من ثورتها، وقال لها:﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾. [مريم:19] فازداد خوف «**مريم**» وجزعها، وعاودها خشيتها واضطرابها، وقالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20].فأجابها «جبريل» عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:21].

❋ فحملته:

ونفخ «**جبريل**» في جيب ثوبها..فكان الحمل؛ ولما بدا بطنها ينتفخ قليلًا ابتعدت عن الناس، وانتبذت من أهلها مكانًا قصيًا..وراحت تفكر في هذا الذي طرأ عليها.. وهى أعلم الناس بنفسها!

ترى ماذا يقول الناس؟! إن ربها أعلم بها، وهو الذي سيبرئها أمامهم.. ولم ينقطع في الله!

❋ فأجاءها المخاض:

ثم إن «**مريم**» أحست بآلام المخاض، بعد فترة الحمل التي قدرها الله تعالى لـ«**عيسى**» عليه السلام في بطنها..فأخذت تلوم نفسها وتوبخها، وتتمنى الموت

قبل هضا اليوم، خوفًا من الفضيحة..﴿.. قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: 23]. ثم قيل لها ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: 26 – 25]. وضعت طفلها «**عيسى**» عليه السلام ماذا تفعل الآن؟ وكيف تواجه الناس؟ فقيل لها: ﴿..فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: 26].

❋ يا أخت «هارون»:

ما كانت «**مريم**» أختًا لـ«**هارون**» النبي عليه السلام، ولكن كانت في مثل طهارته وقداسته فكانت تشبه به، وتنسب إليه.. فلما حملت طفلها بعد الولادة في لفافته، وأتت به قومها تحمله، ففوجئوا بها وبطفلها، وظنوا بها السوء والفحشاء، فقالوا لها: لقد ارتكبت يا « **مريم**» إثمًا عظيمًا، وجئت شيئا فريًا، كنا نراك في طهارة الأنبياء وقداستهم أمثال «**هارون**»...، وما كان أبوك إنسانًا سيئًا ولا كانت أمك أيضًا بغيًا.. تتعاطى الدعارة.

واتهموها اتهامات كثيرة، القريب منهم والبعيد، وظلت مريم ساكتة لا تنطق، ثم أشارت إلى الطفل..، فظنوا بها الجنون وقالوا: كيف تقولين؟ هل جننت؟ أم تهزئين بنا؟

❋ إني عبد الله:

ونطق «عيسى» عليه السلام أنطقه الله تعالى بقدرته، وأجرى الحكمة على لسانه فقال للمتهمين أمه بالسوء: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم 30 – 33]. فسكتت ألسنة المشككين، وخرست أصواتهم أمام قدرة الله تعالى وإعجازه.

❋ النشأة:

منذ طفولته، كان «**عيسى**» عليه السلام متفتح القلب والعقل، واعى الذهن، حاد الذكاء، كثيرا ما كان ينفلت من بين يدس أمه ويذهب إلى الهيكل ويناقش ويجادل كبار الأحبار من «بني إسرائيل»، فتلحق به وتعيده إلى البيت.

❋ في مصر:

حدثت فتنة في أرض فلسطين ما بين «**الناصرة**» التي ينسب إليها «عيسى» عليه السلام، وبين «**بيت المقدس**» مقر الحاكم الروماني، وبين «**بيت لحم**» التي كان بها مولد النبي «**عيسى**».

❋ مقتل «يحيى» – عليه السلام –:

كان «**يحيى**» عليه السلام أكبر من «**عيسى**» بمرحلة من العمر، معروفًا لدى أكثر الناس بالتقوى، والرقة، ودماثة الخلق، شديدًا في أحكام الله، ولا يتهاون ولا يتراجع عن حكم أنزله الله تعالى.. كما كان عزوفًا عن مجتمعات الناس، يألف البراري والقفار، يقتات من نباتها، وثمارها، ويشرب من صافي جداولها وينابيعها، وكان اكشر طعامه العسل والجراد.

❋ اللقاء:

وألتقى «**عيسى**» بـ«**يحيى**» ذات يوم عند نهر الشريعة، «**يحيى**» قد تقدم به العمر فبلغ مرحلة الرجولة، و«**عيسى**» لا يزال فتى طري العود، شابًا يافعًا.. ثم إن «يحيى» أخذ يبشر بين الناس بنبوة «**عيسى**» وهدايته لبني إسرائيل، ودعوته إياهم إلى الالتزام بشرع الله. وكان «**هيرودوس**» الحاكم الروماني في بيت المقدس، قد وقع في غرام ابنة أخيه، وأحب أن يتزوجها، فقيل له: هذا حرام؛ وحين سئل

«**يحيى**» عن ذلك الأمر، أعلن على الملأ رأيه في الحرمة، وتشدد في ذلك، ووقف حائلًا بين الحاكم الطاغية وبين رغبته.

* رأس «يحيى» هو الثمن:

ودبرت حيلة للخلاص من «**يحيى**» وإزاحته من الطريق التي يقف فيها حجر عثرة أمام رغبة الحاكم..قدم لهيرودوس الخمر فسكر حتى فقد وعيه، ثم طلب إليه أن كان يرغب في الزواج من ابنة أخيه ان يأمر بقتل «يحيى» وإحضار رأسه على صينية ثمنًا لرغبته.

ففعل من غير وعي، ومن غير رادع من خلق أو دين..، وجئ برأس «**يحيى**» والدم يطفح من الوعاء الذي حملت فيها.

* «عيسى» و«الحواريون»:

بلغ «**عيسى**» أشده، واتخذ له تلامذه من أتباعه يبشرون بما يدعو إليه، عرفوا بالحواريين. ولقد ظهرت على يده ﷺ معجزات يسرها الله تعالى لتكون آية للناس وعلامة، فيصدقوه، ويتبعوه، فأبرأ الأبرص.. والأكمه وأحيا الموتى بإذن الله.

جئ له بأبرص قد انتشر الداء في كل جسمه، فسمحه ودعا له فبرئ، وعاد سليمًا. وجئ له بأكمه..أخرس أطرش، فمسحه ودعا له، فبرئ أيضًا..وطيب إليه أن يسعف «**اليعازر**»..، فجاءه فإذا هو ميت، فمسحه ودعا له، فعاد حيًا.. كل ذلك بإذن الله تعالى..

* «عيسى» في مواجهة الفريسيين:

وهم طائفة من أحبار اليهود، من «**بني إسرائيل**» كذبوه في دعوته، وناصبوه العداء، وفتنوا عليه عند الحاكم الروماني «**بيلاطوس**»، بأنه يقول كلامًا يمس أمن الإمبراطورية الرومانية.

* الإنجيل:

وكان الله تعالى قد أوحى إلى «**عيسى ابن مريم**» بالإنجيل مصدقًا لما بين أيدي الناس من التوراة، توراة «**موسى**»، لا التي حرفها اليهود من بعده، وقالوا على الله تعالى الكذب وهم يعلمون، ويبشر في الإنجيل بنبي يأتي من بعده اسمه «أحمد»، هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وفي الإنجيل، أيضا، حكم وأحكام وشرائع، فيها هدى للناس.

* المؤامرة «يهوذا الاسخريوطي»:

اضطرب الحاكم الروماني لما يقوله الفريسيون عن «**عيسى**»، واهتز، وأعطى أوامره بإلقاء القبض عليه وصلبه جزاءً وعقابًا على ما يقول ويفتري..فارتاحت نفوس الفريسيين لذلك..

ولكن..كيف له أن يمسك بـ«**عيسى**» وهو لا يعرفه؟ فقيل له أي للقائد الذي كلف بالقبض عليه: إن أحد تلاميذه ويدعى «**يهوذا الاسخريوطي**» حاضر لأن يدلهم عليه لقاء مبلغ من المال.. دراهم معدودة؟

* ولكن شبه لهم:

وجضر قائد الحرس الروماني إلى مكان الذي فيه «**عيسى**» ودلهم عليه «**يهوذا**» بإشارة منه. ولكن الله تعالى ألقى شبة «**عيسى**» على «**يهوذا**» نفسه، فحملوه وهم يظنون أنه «**عيسى**» وساقوه إلى جبل عال في «**بيت المقدس**»، وساروا به في الطريق «**الجلجلة**».

كان «**يهوذا**» يصرخ ويستنجد بأنه ليس «**عيسى**»، ولكن صوته كان يضيع مع صرخات ألوف الناس الذين احتشدوا لروية الصلب. أما «**عيسى**» عليه السلام فإنه قد رفعه الله إليه من الأرض مكرمًا معززًا..قال تعالى ﴿..وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ..﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: 157 – 158].

الفهرس

آدم. عليه السلام	5
القربان:	8
«شيث» – عليه السلام –	10
إدريس ـ عليه السلام ـ	12
نوح ـ عليه السلام ـ	14
الطوفان:	14
هود – عليه السلام –	20
من نوح إلى «هود» – عليهما السلام –	20
الآية المعجزة	26
أبو الأنبياء «إبراهيم» – عليه السلام –	28
المحاجة بين «إبراهيم» و«النمرود»	31
إسماعيل – عليه السلام–	33
الفداء:	35
إسحاق – عليه السلام –	36
يعقوب – عليه السلام –	41
يوسف – عليه السلام–	42
في بيت عزيز مصر	44
رؤيا الملك	48

يوسف الصديق	48
فصبر جميل	52
اجتماع الشمل	54
«أيوب» و«ذو الكفل» – عليهما السلام–	55
«ذو النون» «يونس بن متى» –عليه السلام –	61
موسى وهارون – عليهما السلام–	64
موسى – عليه السلام – والعبد الصالح	77
«داود» و«سليمان» – عليهما السلام –	79
«جالوت» و«داود» – عليه السلام–	80
حقد «طالوت» على «داود»:	81
ملك «سليمان» – عليه السلام –	82
الهدهد، وعرش «بلقيس» وعفريت الجن	83
«زكريا» و«يحيى» و«عيسى» – عليهم السلام–	86
«يحيى» – عليه السلام –	88
«عيسى» و«الحواريون»	92
المؤامرة «يهوذا الاسخريوطي»	93